لغة الجسم في القرآن الكريم

إعداد
خيري زهير الجنيدي

المشرف
الدكتور أحمد شكري

المشرف المشارك
الدكتور إبراهيم أبو عرقوب

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في
أصول الدين/ تفسير

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية
أيار – ٢٠٠٢م

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٢٩م.

أعضاء لجنة المناقشة التوقيع

د. أحمد شكري شابسوغ/ مشرفاً

د. إبراهيم أبو عرقوب/ مشرفاً مشاركاً

د. شحادة العمري/ عضواً

د. أحمد فريد أبو هزيم/ عضواً

د. أحمد نوفل/ عضواً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إهداء

إلى ساكِنَيْ قلبي ... إلى قرة عيني . . والديّ الحبيبين

إلى التي كان الوفاء دثارها . . والتضحية شعارها . . زوجتي الغالية

إلى أسرجة الهدى وشموس الدجى . . أولئك الذين تشرفت بالجلوس بين يديهم

أنهل من بحر علمهم . . إلى أساتذة كليتي الحبيبة . . إلى مدرسِي التفسير فيها . .

إلى مشرفَيْ رسالتي هذه . .

أقدم هذا الإهداء

سائلاً المولى أن يكتب لهم من المثوبة ما يعطي أهل الفضل من أوليائه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل لكل الإخوة الذين ساهموا في أنجاز هذا البحث، وأخص منهم بالذكر والديّ الغاليين وإخوتي وزوجتي، والأخ غسان هزاع.

ولا أنسى أساتذة كلية الشريعة خاصة مدرسي قسم التفسير، والدكتور الفاضل أحمد شكري والدكتور إبراهيم أبو عرقوب -مشرفَيْ الرسالة- ولجنة المناقشة الكرام الذين لم يألوا جهداً في تزويدي بالمعلومة الصحيحة والدقيقة.

داعياً المولى سبحانه أن يكتب للجميع الأجر والمثوبة، ويدخرها عنده لتنفع المذكورين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الـــمـــحـــتـــويـــــات

الموضـــــــــــوع	الصفحة
الفصل الأول: الاتصال الإنساني وموقع لغة الجسم منه	٤
المبحث الأول: تعريف الاتصال وبيان عناصره	٤
المبحث الثاني: هدف عملية الاتصال	٥
المبحث الثالث: أشكال الاتصال الإنساني من حيث اللغة	٩
المبحث الرابع: لغة الجسم وأقسام الاتصال فيها	١٠
المبحث الخامس: نشأة علم لغة الجسم وتطوره	١٣
المبحث السادس: أهمية لغة الجسم في الاتصال الإنساني	١٥
المبحث السابع: نموذج الاتصال الإنساني من خلال لغة الجسم	١٨
الفصل الثاني: عناصر لغة الجسم في القرآن الكريم ومواطن ذكرها	٢٠
المبحث الأول :لغة العيون	٢٢
المبحث الثاني :إيماءات الوجه	٣٤
المبحث الثالث: الضحك	٤٢
المبحث الرابع: وصف الرأس وحركته	٤٤
المبحث الخامس: حركة العنق	٤٨
المبحث السادس: السمع	٥٠
المبحث السابع: حركة الأرجل	٥٢
المبحث الثامن : حركة اليد والأصابع	٥٥
المبحث التاسع: الصوت (قرائن اللفظ)	٥٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الموضـــــــــــوع	الصفحة
المبحث العاشر : هيئات عامة	٦٣
المبحث الحادي عشر : المظهر العام	٧٥
الفصل الثالث: صور استخدام القرآن الكريم للغة الجسم	٧٩
المبحث الأول : تصوير مشاهد الحياة الآخرة من حساب ونعيم وعقاب	٨٠
المبحث الثاني : التصوير الفني للقصص القرآني من حيث لغة الجسم	١٠٠
المبحث الثالث : استخدام لغة الجسم في الصور البيانية لتجسيد معنى أو صفة	١٠٥
المبحث الرابع: تطبيق الحدود الشرعية وأثرها كلغة اتصالية في المجتمع	١٠٩
المبحث الخامس :عرض سمات المسلم من حيث لغة الجسم التي يجب أن يتحلى بها والسمات السلبية التي يجب اجتنابها	١١٢
الفصل الرابع: سمات الشخصية الإسلامية من خلال لغة الجسم	١١٣
المبحث الأول : نموذج الاتصال الإسلامي	١١٥
المبحث الثاني: إيماءات الوجه	١٢٠
المبحث الثالث: السمع	١٢٧
المبحث الرابع: رسالة قرائن اللفظ	١٣٠
المبحث الخامس: هيئة المشي	١٣٤
المبحث السادس : اللباس	١٣٨
المبحث السابع : العبادة وأثرها في رسم سمات الشخصية الدعوية	١٤٣
المبحث الثامن: الهيئة العامة للشخصية الدعوية	١٤٥
الخاتمة	١٤٦
المراجع	١٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مـــلـــخـــص

لغة الجسم في القرآن الكريم

إعداد

خيري زهير رشدي الجنيدي

المشرف

د. أحمد شكري شابسوغ

المشرف المشارك

د. إبراهيم أبو عرقوب

الاتصال الإنساني ضرورة اجتماعية للتواصل بين الأفـراد والمجتمعـات، تنوعـت أشكاله، وتطورت نظرياته. وتأصلت في الحقبة الأخيرة من الزمن لغات اتصال غيـر لغـة الكلام، كانت لغة الجسم هي أم تلك اللغات.

تعد لغة الجسم وسيلة نقل المشاعر والأفكار والآراء عبر إيماءات وحركات أعضاء الجسم. وقد تطور هذا العلم سريعاً وغدا أصلاً من أصول التواصل بين البشر.

حوى القرآن الكريم آيات عديدة تشير إلى هذه اللغة، فكان هدف الرسالة إبراز هـذه الآيات، وتوضيح دلالتها، وبيان طرق عرضها للغة الجسم.

وقد وظف القرآن الكريم لغة الجسم لخدمة قضايا عديدة منها:

- تصوير مشاهد الحياة الآخرة من حشر وحساب ونعيم وعقاب.
- التصوير الفني للقصص القرآني
- استخدام لغة الجسم في الصور البيانية لتجسيد معنى أو صفة.
- تطبيق الحدود الشرعية وأثرها كلغة اتصالية في المجتمع
- وكانت الوظيفة العملية لهذه اللغة في القرآن الكريم بيان سمات المسلم من حيث لغة الجسم التي يجب أن يتحلى بها والسمات السلبية التي يجب اجتنابها.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فيعد الاتصال حاجة اجتماعية للتواصل بين الأفراد والجماعات، وضرورة إنسانية لنقل وتوارث المعلومات والعادات من جيل إلى جيل، فالإنسان مدني بطبعه يسعى للتعايش في مجتمعات تلبية لحاجاته وتحقيقاً لذاته.

وقد قطع فن وعلم الاتصال مفاوز عظيمة في العصور السابقة ، وغدا في هذا العصر مظهر التقدم والارتقاء ، بل مصدر القوة والنماء .

ويلاحظ المتابع للدراسات الإعلامية التطور السريع في النظريات الإعلامية والبحوث التجريبية التي كان لها كبير الأثر في معرفة آثار وسائل الاتصال على المجتمعات.

ولما كانت وسائل الاتصال تمثل إحدى العمليات المركزية التي يحصل الأفراد من خلالها على فهم ذاتي للواقع الاجتماعي، كان لزاماً أن يرتقي الفهم الدعوي لهذه المادة حتى يفيد منها المسلم في عرض المادة القرآنية على أساس من العقلانية.

الحاجة إلى الدراسة:

يعد علم لغة الجسم من أكبر وسائل الاتصال تأثيراً على الأفراد لأنه يخاطب العقل والعاطفة معاً . وإذا كان الغرب قد أفاد من هذا العلم على مدى نصف قرن من الزمان ، وكان سبباً في تقدم نظريات الاتصال، وجب علينا الإفادة منه، لا تقليداً للغرب وإقحاماً لنظرياتهم في فهمنا للقرآن، بل لاعتباره أكبر مادة دعوية مثلها النبي صلى الله عليه وسلم -القدوة - في المجتمع المكي والمدني أولاً ... ومظهراً من مظاهر البلاغة القرآنية في عرضها قضايا الغيب والقصص والاعتقاد ثانياً.

قد يوحي موضوع الرسالة بغرابة في المضمون .. ويشعر بالتأثر بالنظريات الغربية وإخضاع الفهم القرآني لها .. ولكن واقع الدراسة ومضمونها بعيد كل البعد عن دلك .. فهو محاولة للاستفادة من علوم العصر لفهم النص القرآني مع المحافظة على ثوابت النص وركائزه ، ومعالم الدين وأركانه.

صعوبات الدراسة:

تعرضت هذه الدراسة لمشكلة قلة المراجع المتعلقة بموضوع الدراسة، إضافة إلى أن المتوافر منها يعرض بعض مظاهر لغة الجسم في بيئات غربية، كان هدفها أحياناً إبراز الدور الذي تؤديه لغة الجسم في عملية الاتصال بين الجنسين، وأحياناً أخرى تعكس تطبيقات عملية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمظاهر اجتماعية في تلك البيئات، لا يمكن تطبيقها على مجتمعاتنا لاختلاف العادات والتقاليد والأعراف. إلا أن هذه الكتب رسمت أمثلة تطبيقية توضح الإطار العام الذي يقوم عليه هذا العلم. وبمزيد من البحث في كتب الاتصال، ومطالعات في كتب لغة الجسم، ومراجعة كتب التفسير، يسر الله لي مادة علمية ساعدتني في التغلب على هذه المشكلة.

منهج الدراسة:

قد قامت هذه الدراسة على منهجين:

- أولاً: المنهج الاستقرائي: حيث تم جمع الآيات الواردة في موضوع الدراسة، وتصنيفها حسب عناصر لغة الجسم: الرأس، والعينان، اليدان، الأقدام.. .
- ثانياً: المنهج الاستنباطي: حيث تم تبويب الآيات في موضوعات، وتوضيح غريب الألفاظ فيها، وبيان طريقة استخدام القرآن لها، لمعالجة قضايا عديدة.

محتوى الدراسة:

تقع الدراسة في أربعة فصول:

الفصل الأول: ويضم الاتصال الإنساني، تعريفه، عناصره وأشكاله، وموقع لغة الجسم منه، كما عرض نموذج الاتصال الإنساني.

الفصل الثاني: ويحوي استقراءً كاملاً للآيات التي لها علاقة بالدراسة، تم تبويبها إلى أحد عشر مبحثاُ، كل مبحث يضم عنصراً من عناصر لغة الجسم، والآيات الدالة عليه، موضحاُ اللفظ الغريب فيها، مستشهداً بأقوال علماء اللغة والتفسير والبلاغة.

الفصل الثالث: ويشتمل على طرق استخدام القرآن للغة الجسم. ويقسم إلى خمسة مباحث.

الفصل الرابع: يعرض سمات المسلم من خلال لغة الجسم. قسمته إلى عشرة مباحث: لغة العيون، إيماءات الوجه، الضحك، حركة الرأس، حركة العنق، السمع، حركة الأرجل، حركة اليد والأصابع، الصوت، وهيئات عامة.

ثم كانت الخاتمة وفيها أجملت أهم النتائج.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سائلاً المولى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه، وأن ينفع به المسلمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد:

لا بد في مقدمة هذا البحث أن نقف على تعريف لغة اللفظ ولغة الجسم، حتى نتعرف على العلاقة بينهما.

لذا أبدأ بتعريف "اللغة"، و"اللفظ" من حيث اللغة لنخلص إلى تعريف اللغة اللفظية، ثم أعرف "الجسد" و"الجسم" لغة موضحاً العلاقة بينهما لنخلص إلى تعريف لغة الجسم. مختتماً هذا التمهيد بتوضيح العلاقة بين اللغة اللفظية ولغة الجسم.

اللغة: "فُعْلة من لَغَوت: أي تكلّمت، أصلها لُغْوة كَكُرة وثُبة، كلها لاماتها واوات"[١]. "يقال لَغَى أو لَغَوَ جمعها لُغَيٌّ ولُغات"[٢]، "ولُغَوٌ: والهاء عوض"[٣].

ولَغَو: أصل صحيح يدل على معنيين:

أحدهما: الشيء الذي لا يُعتدّ به، والآخر: اللَّهج[٤] بالشيء، يقال: لَغِي بالأمر، إذا لهج به، ويقال: إن اشتقاق اللغة منه[٥].

"واللغة: ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم"[٦].

يتبين لنا مما سبق أن اللغة هي الوسيلة المستخدمة في نقل المعاني، سواء أكانت هذه الوسيلة أصواتاً أم إشارة أم رموزاً، وأطلقت على الكلام تغليباً.

لَفَظَ: "اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم"[٧]، "يقال: لَفَظ الشيء يلفِظُ لَفْظاً"[٨]. "وهو بمعنى المفعول، فيتناول ما لم يكن صوتاً ولا حرفاً، وما هو حرف واحد وأكثر، صادراً من الفم أو لا، لكن خُصَّ في عرف اللغة بما صدر من الفم من الصوت المعتمد على المخرج"[٩].

---

[١] ابن سيدة، المحكم ٦٢/٦.

[٢] أبو البقاء، الكليات ٧٩٦.

[٣] الجوهري، الصحاح ٤٩٩/٦.

[٤] لهج: أصل صحيح يدل على المثابرة على الشيء وملازمته، وقولهم: فصيح اللهجة، أي اللسان بما ينطق به من الكلام، وسميت لهجة لأن كلاً يلهج بلغته وكلامه. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٢١٤/٥.

[٥] المرجع السابق ٢٥٥/٥.

[٦] ابن جني، الخصائص ٨٧/١، وانظر الجرجاني، التعريفات ٢٠٢/ وأبو البقاء، الكليات ٧٩٥/ وابن منظور، لسان العرب ٣٠٠/١٢.

[٧] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٢٥٩/٥. وانظر الجوهري، الصحاح ٤٣٣/٣.

[٨] ابن منظور، لسان العرب ٣٠٤/١٢.

[٩] أبو البقاء، الكليات ٧٩٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلت: فاللفظ في الأصل، الشيء المطروح ثم غلب إطلاقه على الصوت الصادر من الفم والمعتمد على المخرج، "وفي التنزيل: "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" : أي تكلّم"[١].

ومن خلال تعريف اللغة وتعريف اللفظ يمكننا أن نعرف اللغة اللفظية:
اللغة اللفظية: أصوات صادرة من الفم ومعتمدة على مخرج، يصطلح كل قوم على نبرات خاصة منها للتعبير عن حاجاتهم وأغراضهم.

الجسم والجسد:

الجسم لغة: "الجيم والسين والميم يدل على تجمّع الشيء، فالجسم كل شخص مدرك"[٢]، "يجمع البدن وأعضاءه من الناس والإبل والدواب ونحوه مما عظم من الخَلْق الجسيم، والفِعْل: جَسُم جَسامة"[٣]. "ومدلول الجسم في اللغة التركيب والتأليف، بدليل أنهم إذا راموا تفضيل شخص على شخص في التأليف وكثرة الأجزاء يقولون: فلان أجسم من فلان، إذا كان أكثر منه ضخامة وتأليف أجزاء"[٤].

الجسد لغة: "البدن، تقول تَجَسَّد كما تقول من الجسم: تَجَسَّم. والجَسَد: مصدر قولك جَسِد به الدمُ يَجسَدُ إذا لصق به، فهو حاسِدٌ وجَسِدٌ. والمُجْسَد: الأحمر، ويقال ما أشبع صبغه من الثياب، والجمع مجاسِد. والمِجسَد: ما يلي الجَسَد من الثياب"[٥]. "والجَسَد للإنسان، ولا يقال لغير الإنسان جَسَد من خَلْق الأرض. وكل خَلْق لا يأكل ولا يشرب من نحو الملائكة مما يعقل فهو جَسَدٌ"[٦].

يظهر لنا من خلال التعريفين المذكورين أن الجسم يطلق على الشيء المركب من أجزاء مما عظم من الخلق، من إنس ودواب وغيرها. أما الجسد "فلا يطلق إلا على جسم الإنسان خاصة من الأجسام المغتذية"[٧]، ويطلق على كل خَلْق لا يأكل ولا يشرب كالملائكة.

---

[١] ابن منظور، لسان العرب ٣٠٤/١٢.
[٢] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٤٥٧/١، وانظر الأزدي، جمهرة اللغة ٦٥/٢.
[٣] الفراهيدي، العين ١٤٢، وانظر ابن سيدة ، المحكم ٢٨٢/٧.
[٤] أبو البقاء، الكليات ٣٤٤.
[٥] الجوهري، الصحاح ٣٠/٢.
[٦] الفراهيدي، العين ١٤١، وانظر ابن سيدة، المحكم ٢٨٢/٧.
[٧] ابن سيدة، المحكم ٢٦١/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وعليه فيجوز أن نقول جسم الإنسان وجسد الإنسان، فإذا أردنا الأجزاء والأعضاء وكون الإنسان مركباً ومؤلفاً فنقول جسم الإنسان، وإذا أردنا البدن عامة قلنا جسد الإنسان، والله أعلم.

تعريف لغة الجسم:

من خلال تعريفنا لـــ "اللغة"، ولـــ "الجسم"، يمكننا أن نعرف لغة الجسم من حيث اللغة: أنها وسيلة التعبير عن الحاجات والأغراض من خلال أعضاء الجسم وأجزائه.

أما اصطلاحاً: فهي وسيلة التعبير عن مشاعر وأفكار وسلوك الفرد من خلال المظهر الخارجي، سواء أكان خِلقة -كبسطة الجسم-، أم طارئاً -كاحمرار الوجنتين عند الشعور بالخجل-، من أصل الجسم، أم خارجاً عنه -كاللباس والزينة-[١].

العلاقة بين لغة الجسم ولغة اللفظ:

هناك عموم وخصوص بين لغة الجسم ولغة اللفظ، إذ اللفظ صوت صادر عن الفم، والفم جزء من الجسم. ولكن علماء الاتصال أرادوا التمييز بين اللغة الشائعة بين الناس -لغة اللفظ- وبين الإيماءات والحركات الصادرة عن بقية الجوارح والتي ينطبق عليها تعريف اللغة، فاصطلحوا على تقسيم اللغة الصادرة عن جسم الإنسان إلى:

١. لغة اللفظ.
٢. لغة الجوارح.

واطلقوا على القسم الثاني "لغة الجسم" تغليباً[٢].

---

[١] لم أقف على تعريف للغة الجسم في كتب الاتصال وإنما عدوها ذكراً في أقسام الاتصال غير اللفظي، لذا قمت بوضع هذا التعريف لها من خلال ما قرأت. انظر غباري، الاتصال ووسائله ص٦٠/ أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ص٤٤ وما بعدها، العلاقات العامة والاتصال الإنساني ص٣٧،٣٦

[٢] انظر فهمي، تكنولوجيا الاتصال وخدمة المجتمع ص١٣٣/ غباري، الاتصال ووسائله ص٦٠/ منصور، الاتصال الفعال ص٥٦/ أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ص٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

الاتصال الإنساني

وموقع لغة الجسم منه

ويضم المباحث التالية:

المبحث الأول: تعريف الاتصال وبيان عناصره:

المبحث الثاني: هدف عملية الاتصال

المبحث الثالث: أشكال الاتصال الإنساني من حيث اللغة

المبحث الرابع: لغة الجسم وأقسام الاتصال فيها

المبحث الخامس: نشأة علم لغة الجسم وتطوره

المبحث السادس: أهمية لغة الجسم في الاتصال الإنساني

المبحث السابع: نموذج الاتصال الإنساني من خلال لغة الجسم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: تعريف الاتصال وبيان عناصره :

لغة : الواو والصاد واللام أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه[١]. يقال : وصل الشيء بالشيء يصله وصلاً [٢]، ووصل بمعنى اتصل، والوصل : ضد الهجران [٣]، والوصيلة: الأرض الواسعة كأنها وصلت فلا تنقطع، والواصلة من النساء التي تصل شعرها بشعر غيرها[٤].

يظهر لنا مما سبق أن الاتصال يعني ضم أشياء بعضها إلى بعض والمشاركة بينها.
وكلمة الاتصال (Communication) تشتق من الأصل اللاتيني للفعل (Communicate) بمعنى يشيع عن طريق المشاركة. ويرى بعضهم أن هذا اللفظ يرجع إلى الكلمة اللاتينية (Communis) ومعناه (Common) بمعنى عام أو مشترك. [٥]

وفي اللغة الانجليزية مصطلح (Communish) بمعنى الشيوعية، وهي المذهب الذي يقتضي ضرورة خضوع جميع أنواع الملكية للملكية الجماعية، وبأن ما يتحقق منها من عائد يكون مشاعاً أو مشتركاً. [٦]

اصطلاحاً: الاتصال علم له تعريفات كثيرة تفاوتت في عناصرها تبعاً لاتساع مجال هذا العلم وسعة تطبيقاته. فهناك الاتصال السياسي، الطبي، الإداري، الاجتماعي.. .
وقد تطور التعريف من عقد إلى عقد في القرن الماضي، وأخذ صورته النهائية قبل حوالي نصف قرن تقريباً، وذلك لوجود عدد من الباحثين الذين كرسوا جهدهم لأبحاثه ونظرياته، الأمر الذي يوضح تطوره وخصوصاً في السنوات الأخيرة[٧]، ومن أهم هذه التعريفات :
عرف ستيفنز –متخصص في علم النفس– الاتصال على أنه : " استجابة الكائن الحي المميزة إزاء مثير" [٨].
ويعرفه جون ديوي – متخصص في مجال التربية– : أنه "عملية مشاركة في الخبرة بين شخصين أو أكثر حتى تعم الخبرة وتصبح مشاعاً بينهم. يترتب عليه حتماً إعادة تشكيل وتعديل المفاهيم والتصورات السابقة لكل طرف من الأطراف المشتركة في هذه العملية " [٩].

---

[١] ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ١١٥/٦.
[٢] الأزهري ، معجم تهذيب اللغة ٣٩٠١/٤ .
[٣] الجوهري ، تاج اللغة ١٣٨/٥.
[٤] ابن منظور ، لسان العرب ٣١٧/١٥.
[٥] نمر ، أساليب الاتصال الاجتماعي ص٩.
[٦] منصور ، الاتصال الفعال ص١١.
[٧] انظر –غير مأمور– نصر الله ، مبادئ الاتصال التربوي والانساني ص٢٤.
[٨] غباري ، الاتصال ووسائله ص٥.
[٩] نمر ، أساليب الاتصال الاجتماعي ص١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعرفه د. محمد مهدلي : " أنه نقل أو انتقاء أو تبادل المعلومات بين أطراف مؤثرة ومتـــأثرة على نحو يقصد به ويترتب عليه تغيير في المواقف أو السلوك " [١].

ويعرفه د. غريب عبد السميع –متخصص في الخدمة الاجتماعية– : "عملية اجتماعية تتم بين طرفين أو أكثر باستخدام أداة أو أكثر من أدوات الاتصال، بغرض أن تصير الخبرة مشتركة بين أطراف هذه العملية" [٢]

ويعرف عالم النفس كونتر هارولد الاتصال الجيد: "أنه نقل وتبادل الأفكار والمعلومات لإحداث ثقة وفهم مشترك بين شخصين، وهذه المعلومات لا بد أن ينتج عنها ثقة متبادلة بين الاثنـــين ويجب أن تكون مفهومة من قبل المستقبل" [٣].

بناءً على هذه التعريفات أرى أن الاتصال : استجابة الكائن الحي لمثير يـــؤثر فيـــه لتغيير شيء من معلوماته أو اتجاهاته[٤] أو سلوكه في بيئة معينة [٥].

---

[١] مهدلي ، المدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي ص١٢.

[٢] غريب، الاتصال والعلاقات العامة ص ١٤.

[٣] عليان، وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم ص٢٦.

[٤] الاتجاه : عبارة عن إطار مرجعي يزودنا بالمعلومات التي تجعلنا نشعر مع الآخرين أو نتضامن معهم كي نحصل على دعمهم ، ويتكون الاتجاه من : الجانب المعرفي ، الجانب العاطفي ، الجانب السلوكي . وسنتكلم عنه في أهداف الاتصال .

[٥] لم يدخل أغلب مؤلفي كتب الاتصال أثر البيئة في تعريف الاتصال على الرغم من أنه عنصر أساس في عملية الاتصال ، لأن عدم اعتباره يؤدي إلى سوء عملية الاتصال . فهناك إشارات وحركات تتشابه في أدائها إلا أنها تختلف باختلاف البيئات ، وقد عدت د. هالة منصور في كتابها " الاتصال الفعال " سبعة نماذج للصمت لا يتم فهم كل نوع إلا في ضوء الموقف (البيئة) .

وكذلك نرى أن عملية الاتصال بين المدرس والطالب داخل الصف أو المدرسة لها من القدسية ما لا يكون خارج الصف والمدرسة ، وذلك لما لأثر البيئة الصفية أو المدرسية في عملية الاتصال .

وبعد بحث طويل ، رأيت د. صالح أبو أصبع قد عدها من عناصر الاتصال في كتابه " العلاقات العامة والاتصال الانساني" ص١٣، وأشار إليها في التعريف إشارة ، حيث عرف الاتصال : " عملية يقوم بها الشخص بنقل رسالة تحمل المعلومات أو الآراء أو الاتجاهات أو المشاعر إلى الآخرين لهدف ما ، في موقف ما ، عن طريق الرموز بغض النظر عما قد يعترضها من تشويش " . فقوله : " في موقف ما " إشارة إلى الظرف أو البيئة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولمّا كان الاتصال الإنساني هو مجال بحثنا، نستطيع تعريف الاتصال الإنساني بأنه : "استجابة شخص –أو أشخاص– لمحرض يؤثر فيه، ويغير شيئاً من المعلومـــات، أو الاتجاهـــات، أو السلوك، في بيئة معينة " .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عرف الباحث الاتصال الإنساني وقد ضم هذا التعريف عناصر الاتصال الإنساني[١] :

١. المصدر / المرسل: هو منشئ الرسالة، قد يكون شخصاً يتكلم، يكتب، أو يشير بيديه.
٢. الرسالة: وهي أساس عملية الاتصال، وقد تكون منطوقة، مكتوبة، مطبوعة، صوت، إشارة، إيماءة، أو حركة.
٣. الوسيلة: وهي الأداة التي تنقل الرسالة الاتصالية من المرسل إلى المستقبل، قد تكون سمعية كالإذاعة، بصرية كالصحف والمطبوعات، أو سمعية بصرية كالتلفاز، وقد تكون الحواس الإنسانية من سمع وبصر وشم وذوق ولمس، في حالة الاتصال الذاتي.
٤. المستقبل: وهو هدف عملية الاتصال ، فقد يكون رجلاً أو امرأة أو طفلاً أو جمهوراً . . .

لذا يجب على رجل الاتصال أن يعرف خصائص المستقبل وطبيعته، حتى يتمكن من مخاطبته، والاستحواذ على قلبه، فتحدث الاستجابة والتأثير.

٥. الاستجابة: وهي التغذية الراجعة أو ردة الفعل. وهي تعبر عن مدى قبول الرسالة أو رفضها، فقد تكون الاستجابة سريعة، أو بطيئة، إيجابية، أو سلبية.
٦. الهدف/التأثير: وهو المحصلة النهائية للاتصال، ويتم بتغيير معلومات أو اتجاهات أو سلوك المستقبل.
٧. البيئة : وهي المحيط الذي يتم فيه إجراء عملية الاتصال، ولها من الأهمية الشيء الكثير الذي يساعد على فهم عملية الاتصال وتحديد أسلوب الاتصال ووسائله وحجمه ونوعه[٢].

---

[١] انظر أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ص ٤٠-٤١ / عبيد، مدخل إلى الاتصال والرأي العام ص٨٢-٩٣

[٢] أبو أصبع ، العلاقات العامة والاتصال الإنساني ص١١-١٤. وقد قام الدكتور بإدخال التشويش في عناصر الاتصال، وأرى أنه ليس كذلك لأن بعض عمليات الاتصال لا يحدث فيها تشويش مطلقاً. وعليه ، فيمكننا عد التشويش من معوقات عملية الاتصال وليس من عناصرها – وهذه وجهة نظر-.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: هدف عملية الاتصال:

الهدف الرئيس من عملية الاتصال هو التأثير في المستقبل لتغيير شيء من المعلومات أو الاتجاهات أو السلوك[١].

١. المعلومات : يزود المرسلُ المستقبلَ رسالة معلوماتية، مثل:

أ. معلومات إثرائية : هدفها زيادة ثقافة الفرد.

ب. معلومات تصحيحية : تعدل معلومات مخطوءة لدى المستقبل.

ت. معلومات خاطئة أو كاذبة : هدفها تضليل المستقبل، كما هو الحال في الحرب النفسية.

٢. الاتجاه : "وهو الإطار المرجعي الذي يتحدد بمجموعة الآراء والأفكار والمشاعر" [٢]، "ويؤثر في اختيار الفرد لسلوك ما حيال موضوع أو شخص أو شيء معين. ويعكس استجابة تمتاز بالثبات النسبي، إلا أنها قابلة للتعديل أو التغيير. وقد تكون الاستجابة قوية أو ضعيفة، سلبية أو موجبة أو محايدة" [٣].

٣. السلوك : ويهدف فيه المرسل تغيير سلوك المستقبل سلباً أو إيجاباً.

وتتحقق هذه الأهداف ضمن وظائف الاتصال، كالوظيفة التثقيفية، التعليمية، الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، الفكرية (الدينية)، الترويحية، الإدارية، وغيرها[٤].

---

[١] انظر: منصور ، الاتصال الفعال ص٥٦/ أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ص٤٤.

[٢] أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ص٤٦.

[٣] الزغول، مبادئ علم النفس التربوي ص ٣١٣. وانظر ملحم، سيكولوجية التعلم والتعليم ص١٦٢ .

[٤] مهدلي، المدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي ص٨٧، وانظر: منصور، الاتصال الفعال ص٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: أشكال الاتصال الإنساني من حيث اللغة :

تنقسم أشكال الاتصال الإنساني من حيث اللغة إلى :

١. الاتصال اللفظي: وهو الاتصال القائم على استخدام اللفظ كوسيلة لنقل المعنى من المصدر إلى المستقبل، واللفظ هنا عبارة عن رموز على شكل كلمات، منطوقة أو مكتوبة، لها دلالات لغوية واضحة ومحددة، وتستعمل بين الناس في المجتمع بطريقة متفق عليها حين القيام بنقل المعاني[١].

٢. الاتصال غير اللفظي: وهو الاتصال الذي يعتمد على لغة الجسم والإشارات، ويطلق عليه أحياناً " اللغة الصامتة "[٢].

وقد درجت كتب الاتصال[٣] على تقسيم الاتصال غير اللفظي إلى :

- لغة الإشارة : بسيطة كانت أو معقدة، كالأسهم، الرسومات الهندسية، الألوان.. .
- لغة الحركة والأفعال : مثل ما يؤديه الممثل على خشبة المسرح من حركات للعيون والأيدي والأرجل.
- لغة الأشياء : مثل ارتداء اللون الأسود في العزاء.

وزاد بعضهم لغة العيون واللمس [٤]. وذهب هاريسون[٥] إلى تقسيم آخر ، فاعتبر اللغة غير اللفظية رموزاً منوعة لها دلالات ، وهذه الرموز مقسمة إلى :

أ. رموز الأداء : حيث تتراوح الإشارات غير اللفظية من حركات جسد ، مثل : تعبيرات الوجه والعيون ، والإيماءات، وإلى شريحة فرعية أخرى وهي ظاهرة تعرف بـ " شبه اللغة "، مثل : نوعية الصوت ، الضحك ، النحنحة، والكحة ... الخ.

ب. الرموز الاصطناعية : مثل استخدام الملابس، مستحضرات التجميل، والأثاث.. .

ت. رموز إعلامية : وتمثل الإختيارات والترتيب والابتكارات خلال استخدام الوسائل الإعلامية لإمكانياتها وتقنياتها مثل المؤثرات الصوتية.

ث. الرموز الظرفية : حيث تنبثق الإشارات غير اللفظية من استخدامنا للوقت والمكان –المسافة الاجتماعية– . فمن أمثلة الزمان : أن تترك شخصاً ينتظرك لفترة

---

[١] أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ص٣٤.

[٢] أبو أصبع ، العلاقات العامة والاتصال الإنساني ص٣٤.

[٣] من هذه الكتب : مهدلي ، المدخل في تكنولوجيا الاتصال الإجتماعي ص٧٠ / فهمي ، تكنولوجيا الاتصال وخدمة المجتمع ص١٣٣/ غباري، الاتصال ووسائله ص٦٠/ نصر الله ، مبادئ الاتصال التربوي والإنساني ص١٥٤.

[٤] منصور ، الاتصال الفعال ، ص٤١.

[٥] نقلاً عن العلاقات العامة والاتصال الإنساني ص٣٧،٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طويلة. ومن أمثلة المكان: أن تجلس بعيداً عن شخص تعرفه، وأن يتم ترتيب الزوار حسب أهمية مناصبهم.

ولمّا كان مجال بحثنا لغة الجسم ، رأيت أن أعرف لغة الجسم أولاً ثم أذكر أقسام الاتصال فيها.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع: لغة الجسم وأقسام الاتصال فيها:

عرف الباحث لغة الجسم : هي اللغة التي تعبر عن مشاعر وأفكار وسلوك الفرد من خلال المظهر الخارجي، سواء أكان خِلقة – كبسطة الجسم– ، أم طارئاً –كاحمرار الوجنتين عند الشعور بالخجل ...–، من أصل الجسم أم خارجاً عنه – كاللباس ، والزينة–[١].

أما أقسام الاتصال في لغة الجسم فهي :

أ. لغة الإيماءات والتعابير : وهي اللغة التي تعبر عن شخصية الفرد وانعكاساته النفسية، مثل: احمرار الوجه عند الخجل، وارتعاش الجلد عند الخوف أو البرد.

ب. لغة الإشارة[٢] : كإشارة اليدين في لغة الصم، وإشارة الرأس.

ت. لغة الحركة والأفعال : مثل حركة الأرجل كالمشيِ، السعي، أو هيئة :كالركوع والسجود.

ث. لغة الأشياء : وهي ما له تأثير على المظهر العام: كالملابس، الألوان ، وعناصر التجميل: كتسريحة الشعر وشكل اللحية وزينة الوجه.

ج. اللغة الظرفية : وهي المتعلقة بالزمان والمكان، كدخول إخوة يوسف – عليه السلام– على أبيهم عشاء مغتنمين عتمة الليل لإخفاء معالم وجوههم مواراة لفعلتهم.

ح. لغة قرائن اللفظ (الصوت) : ويقصد بها القرائن المصاحبة لخروج اللفظ، مثل : نبرة الصوت، طريقة إخراج اللفظ كالإعجاب والإنكار، والصوتيات العامة : كالنحنحة الموحية بالاستئذان، والتأفف الموحي بالضجر.

---

[١] انظر ص٥.

[٢] هناك مؤلفات عديدة في هذا الموضوع، منها : بيرجيرو، علم الإشارة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس: نشأة علم لغة الجسم وتطوره:

يبدو أن علم لغة الجسم حديث نسبياً، وأن الناس لم يعوا وجوده إلا عندما نشر "دجوليوس فاست" كتابه عن لغة الجسد سنة ١٩٧٠م[١]. ولكن الواقع مخالف لذلك فقد عرف الإنسان في العصور القديمة الشيء الكثير عن هذا العلم، بل وكانت لغة الاتصال الأولى قبل ظهور لغة اللفظ.

وقد ساهم العرب كثيراً في تطوير هذا العلم من خلال ما يسمى بـ "علم الفراسة"[٢]، أو "علم الطباع" [٣]، وهو من العلوم الدخيلة التي استمدها العرب من اليونان، وخاصة بعد أول تدوين لها عندهم بما كتبه "أرسطو"، الفيلسوف اليوناني الشهير في القرن الرابع قبل الميلاد. فقد خصص لهذا العلم ستة فصول فذكر في الإنسان علامات تدل على قوته أو ضعفه، على ذكائه أو غبائه.. . واستدل على ذلك أيضاً من الملامح والألوان وأشكال الشعر والأعضاء والقامة والصوت[٤].

اهتم العرب بجمع التراث العلمي اليوناني، ولكنهم في نفس الوقت نقدوه وطوروه، فأخذت مؤلفات العرب تزداد في هذا العلم. ويعد ابن سينا (٤٢٨هـ/١٠٧٣م) أول من ذكر الفراسة في رسالة موجزة يصنف فيها العلوم العقلية، حيث جعلها في المرتبة الثالثة بعد الطب وعلم أحكام النجوم[٥]. ثم الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ) في كتابه " الفراسة " [٦]. ويذكر زيدان[٧] أن أشهر ما وصل إلينا من كتب علم الفراسة عند العرب كتاب " السياسة في علم الفراسة" لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري المتوفى (٧٣٧هـ) [٨]. وجاء بعده سعيد الأنصاري الأكفاني (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) في كتابه "إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد" [٩]،يذكر فيه مؤلفات في علم الفراسة مثل كتاب "فيلين" عن فراسة النساء[١٠] ، لكنه يقول إن هذه الكتب أقرب للظنيات. أما طاش كبرى زادة (٩٦٨هـ/١٥٦٧٠م) ففي كتابه " مفتاح السعادة" [١١] جعل ترتيب الفراسة مع الطب والطب البيطري وعلم النبات، وعلم الحيوان... .

---

[١] بير ، لغة الجسد ، ص٧.

[٢] الفراسة : "علم من العلوم الطبيعية تعرف به أخلاق الناس الباطنة من النظر في أحوالهم الظاهرة، كالألوان، والأشكال، والأعضاء"(زيدان ، علم الفراسة الحديث ص٥). أو هي "علم يعرف منه الأخلاق الإنسانية من هيئة الإنسان ومزاجه وتوابعه وحاصله الاستدلال بالخَلق الظاهر على الخُلُق الباطن" (ابن ساعد، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ص٩١).

[٣] حقي ، علم الفراسة ص٦٠.

[٤] زيدان ، علم الفراسة الحديث ص٦.

[٥] مراد ، الفراسة عند العرب ص٣٤.

[٦] وهو مطبوع في مكتبة القرآن ، القاهرة، ت: مصطفى عاشور.

[٧] زيدان، علم الفراسة الحديث ص٦.

[٨] مطبوع بمصر سنة ١٨٨٢م. (لم أعثر عليه. انظر علم الفراسة الحديث ص٦).

[٩] وقفت على نسخة قديمة مصورة من القطع الصغير لا تحوي مكان الطبع ولا تاريخه.

[١٠] انظر المرجع السابق ص٩.

[١١] زادة، مفتاح السعادة ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وانتشر علم الفراسة بعد ذلك، ولم يكتف أصحابه بالاستدلال من الملامح على الأخلاق والقوى، ولكنهم صاروا يتنبأون بالغيب، وظهرت قراءة الكف وخطوط الجبين، وخلطوا بين الفراسة والسحر، وعظم البلاء في أوروبا، حتى أصدر جورج الثاني ملك إنكلترا أمراً بجلد كل من يدعي هذا العلم أو يتعاطاه.

ثم عاد هذا العلم بثوبه الجديد إثر بزوغ فجر التمدن الحديث المؤسس على العلم الصحيح نسبياً[١].

ومع تطور الطب، وعلم النفس، حدث تغيير في منهج الفراسة، وبدأت النظريات الحديثة تقوم على هذا العلم. ولعل أكبر العلوم التي تستفيد من علم الفراسة، علم لغة الجسم، الذي بدأ التأليف فيه كعلم مستقل في الستينيات من هذا القرن [٢]، ثم بدأت تتفرع فيه مؤلفات متخصصة لكل عضو على حدة.

---

[١] زيدان، علم الفراسة الحديث ص٨.

[٢] بير، لغة الجسد ص٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث السادس: أهمية لغة الجسم في الاتصال الإنساني :

١.تعد لغة الجسم –أحياناً– أصدق تعبيراً من لغة اللفظ ، فقد تكشف لغة الجسد عن عدم صدق لغة اللفظ، فمثلاً ترى أحدهم ترجف رجلاه ويداه من شدة الخوف، فتقول له : لِمَ أنت خائف؟، فيرد عليك: أنا لست خائفاً، فتجيبه : إذاً لماذا ترجف؟ [١].

٢. تحل لغة الجسم محل لغة اللفظ عند تعذر الأخيرة، كلغة الإشارة عند الصم.

٣. تعد لغة الجسم مكملة ومؤكدة للغة اللفظ : مثل ضرب المنضدة بعد أن تتفوه بعبارة ما، أو تعبيرات الوجه المؤكدة لقولك : أنا سعيد[٢].

٤. تعد لغة الجسم اللغة الأولى التي يمارسها الإنسان في حياته ، من خلال الحركات والصرخات التي يطلقها الطفل في التعبير عن رغباته وحاجاته، وكلما ازدادت معرفة الأم بهذه اللغة، كلما كانت العناية بالطفل أكبر.

٥. يمكن الإفادة من لغة الجسم في ترسيخ مفهوم القدوة الصالحة، من خلال تحلي الداعية بلغة الجسم التي رسمها القرآن له.

٦. تعد لغة الجسم مرآتك أمام الناس التي تعكس ثقافتك وشخصيتك.

٧. تضفي لغة الجسم على الاتصال اللفظي بهجة وحيوية ، فاللفظ من غير لغة الجسم كالجسد من غير روح.

٨. ترسم لغة الجسم صوراً معبرة لمشاهد عديدة، فتارة تصور مشاهد عذاب، وتارة مشاهد نعيم، وأخرى مشاهد ترف ... .

٩. فهم لغة الجسم يحسّن سير عملية الاتصال وسهولة تحقيق أهدافها في شتى المجالات :

- ففي المجال الديني : تعبر لغة الجسم عن الانتماء الديني، فقيام الفرد بأعمال الصلاة، ومناسك الحج تشير إلى الانتماء لدين الإسلام.
- وفي المجال الاجتماعي: تحدد لغة الجسم المكانة الاجتماعية للفرد ، فكلما تناسبت وتناسقت مبادؤه مع المبادئ العليا للمجتمع كانت منزلته أعلى.
- وفي المجال العسكري تستخدم الإشارات والرموز عوضاً عن الكلمات للحفاظ على الأسرار العسكرية[٣] .
- وفي المجال الجنائي، يمكن الإفادة من لغة الجسم في الكشف عن الجرائم من خلال البصمات ، ومعرفة صدق المتهم من كذبه في التحقيق من خلال لغة جسمه.

---

[١] أبو عرقوب ، الاتصال الإنساني ص٢٥.

[٢] أبو أصبع، العلاقات العامة ، ص٣٨.

[٣] أبو عرقوب ، الاتصال الإنساني ص٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- وفي مجال التسويق والمبيعات : يؤدي فهم لغة جسم الزبون إلى فهم حاجاته الشرائية، وتوفيرها، وبالتالي زيادة المبيعات[١].
- وفي المجال الأخلاقي : توحي لغة الجسم بتحلي الفرد بالأخلاق كغض البصر، والإعراض عن اللغو.
- وفي المجال الإداري : تؤدي لغة الجسم الجزء الأكبر في تحديد طبيعة العلاقة بين أطراف العمل من مدير وموظفين، فكلما ازداد فهمنا للغة جسم الذين نتعامل معهم، شعرنا بالراحة والمرونة. فالإداري الناجح هو الذي يتعامل مع موظفيه من خلال فهمه لإيحاءات لغة جسم موظفيه في بيئة العمل.
- وفي المجال الصحي : تعبر لغة الجسم عن مدى تمتع الفرد بالصحة أو إصابته بالمرض، كما يمكن تحديد نوع المرض وعلاجه.
- وفي مجال التعليم : تقوم لغة الجسم بالدور الأكبر بما توفره من وسيلة ناجحة لعرض المعلومات، بل ولعلها تمثل مجال التفاضل بين المدرسين.

١١. قد ذكر الإمام الرازي –رحمه الله– فضيلة علم الفراسة، فقال : " ويدل عليه الكتاب، والسنة، والعقل:

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥] ، وقوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [محمد:٣٠] ، وقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩].

وأما السُنَّة، فقوله صلى الله عليه وسلم : " إن يك في هذه الأمة محدَّثٌ فهو عمر" [٢] .

وأما العقل فمن وجوه :

الأول : إن الإنسان مدني بالطبع؛ فلا ينفك عن مخالطة الناس، والشر فاشٍ في الخلق، وإذا كانت هذه الصناعة تفيدنا معرفة أخلاق الناس في الخير والشر كانت المنفعة جليلة.

الثاني : إن راضَة البهائم يستدلون بالصفات المحسوسة للخيل والبغال، والحمير، وسائر الحيوانات التي يريدون رياضتها على أخلاقها الحسنة، والقبيحة، فإذا كان هذا المعنى ظاهر الحصول في حق البهائم والسباع والطيور، فلأن يكون معتبراً في حق الناس أولى.

---

[١] ألن بير، لغة الجسم ص٥.

[٢] مسلم، صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ح (٢٣٩٨).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الثالث : إن أصول هذا العلم مستندة إلى العلم الطبيعي، وتفاريعه مقررة بالتجارب، فكان مثل الطب سواءً بسواء، فكل طعن يُذكر في هذا العلم فهو بعينه متوجه في الطب" اهـ [١].
فإذا كان علم الفراسة مطلوباً عقلاً، وعلم لغة الجسم تطويراً لهذا العلم [٢]، فيكون علم لغة الجسم مطلوباً عقلاً كذلك.

وغير ذلك الكثير من المجالات التي يمكننا من خلالها تطبيق مفهوم لغة الجسم لتحقيق أهداف أوسع وأشمل في حياتنا اليومية.

[١] الرازي ، الفراسة ص٢٩،٢٨.

[٢] وقف علم الفراسة على دراسة الأحوال الظاهرة من الجسم جامدة من غير حركة كطول الجبهة، لون العيون، دلائل الأذنين و شكل العنق.. . بينما يقوم علم لغة الجسم على دراسة إيماءات وحركات وإشارات الجسم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث السابع: نموذج الاتصال الإنساني من خلال لغة الجسم:

أما نموذج الاتصال الخاص بلغة الجسم، فيكون على النحو التالي:

يرسل المرسل رسالة، هذه الرسالة عبارة عن حركة أو إشارة أو إيماءة أو مظهر. تصل إلى المستقبل، فيحللها ويتأثر بها، فيغير شيئاً من معلوماته أو اتجاهاته أو سلوكه. ثم تكون الاستجابة من المستقبل للمرسل ليرى صدى تلك الرسالة، فيقوم المرسل مرة أخرى بتعديل أو تعزيز العملية برسالة أخرى ، وهكذا تستمر عملية الاتصال.

إلا أن عملية الاتصال تتأثر هنا بعاملين رئيسين: البيئة ، ومعوقات الاتصال – اختلاف الثقافات والأعراف–، والشكل (١–١) يبين مخطط نموذج الاتصال من خلال لغة الجسم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بـــيـــــئـــة الاتـــصـــــال

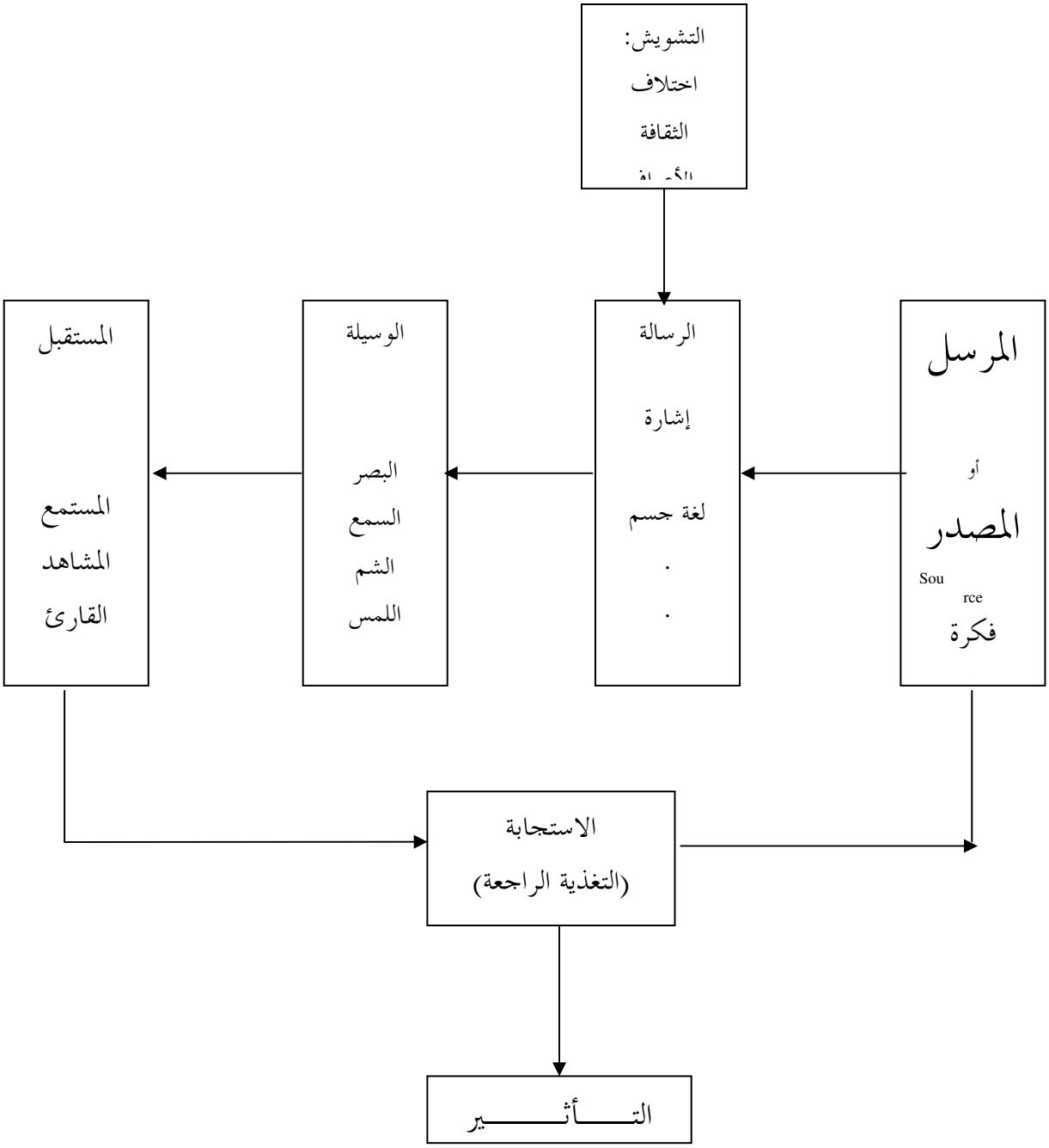

شكل (١-١) نموذج الاتصال من خلال لغة الجسم

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

عناصر لغة الجسم في القرآن الكريم
ومواطن ذكرها

ويضم المباحث التالية:

المبحث الأول :لغة العيون

المبحث الثاني :إيماءات الوجه

المبحث الثالث: الضحك

المبحث الرابع: وصف الرأس وحركته

المبحث الخامس: حركة العنق

المبحث السادس: السمع

المبحث السابع: حركة الأرجل

المبحث الثامن : حركة اليد والأصابع

المبحث التاسع: الصوت (قرائن اللفظ)

المبحث العاشر : هيئات عامة

المبحث الحادي عشر : المظهر العام

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد:

لغة العيون، إيماءات الوجه، حركات الرأس، اليدين، الرجلين، وغيرها، تعد رسائل تحمل معان متعددة، عرض القرآن لها صوراً بليغة تجسد اهتمامه بلغة الجسم باعتبارها أصدق في التعبير -أحياناً- وأبلغ في التأثير.

وفي هذا الفصل أعرض إيماءة أو حركة كل عضو، مبيناً معنى كل إيماءة أو حركة في ذلك الموقف الاتصالي.

إلا أن هناك مشاهد لا يقف تجسيد المعنى فيها عند حركة أو إيماءة عضو، بل تتشارك عدة أعضاء لتشخيص معنى محدد. فأدرجت هذه المشاهد تحت مبحث "هيئات عامة".

ولما كان اللباس يعد من لغة الأشياء التي لها أكبر الأثر على لغة الجسم، أفردت له مبحثاً خاصاً وعنونته "المظهر العام" يجمع المعاني والمعلومات التي نستقبلها من لباس الأفراد.

بقي الإشارة إلى أن الباحث قد بوّب في الفصلين الثالث والرابع بعض هذه الحركات والإيماءات في معان مشتركة وقام بشرحها وبيان أثرها في الموقف الاتصالي، لذا اكتفى الباحث بذكرها في هذا الفصل مبيناً اللفظ الغريب في الآية المصورة لتلك الإيماءة أو الحركة، مشيراً إلى الموضع التي فصلها فيه في الفصول القادمة. أما ما ليس له ذكر في الفصلين المذكورين فقد بينه في موضعه في هذا الفصل.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول :لغة العيون

تعد العيون مصدراً رئيساً للمعلومات، فمن خلال إيماءات وحركة هذه العيون تستطيع الحصول على كثير من المعاني، بل لعل الأمر يتعدى ذلك حين تصبح عملية الاتصال قائمة بين العيون، وهو ما يُعرف "بلغة العيون".

وقد صور القرآن الكريم لقطات عديدة تعبر فيها العيون عن معان من خلال الرسائل الصادرة من إيماءاتها، من هذه المعاني:

١. الخوف:

الخوف شعور يطرأ على الفرد فيحدث تغييراً في الجسم بسبب إفراز هرمون الأدرينالين [١]، الذي يساعد الجسم على تعبئة طاقاته لمواجهة الطوارئ بصورة إيجابية فعالة[٢].

والموقف هنا يصور العين حين تظهر شعور الخوف.

قال تعالى: ﴿ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [محمد:٢٠].

وقال تعالى: ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب:١٩].

وهذان مشهدان بديعان يصوران حالة الذهول والخوف التي تعتري المنافقين عند أمرهم بالقتال في المشهد الأول، وحضورهم ساحة القتال في المشهد الثاني. فلم يكن هناك تصوير لحالة الخوف أوضح ولا أجلى من نظرك إلى عيونهم وهي شاردة حائرة "شاخصة جبناً وهلعاً وغيظاً، كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت"[٣].

"وهو تعبير لا يمكن محاكاته ولا ترجمته إلى أي عبارة أخرى وهو يرسم الخوف إلى حد الهلع، والضعف إلى حد الرعشة، والتخاذل إلى حد الغشية، ويبقى بعد ذلك متفرداً حافلاً بالظلال والحركة التي تشغف الخيال"[٤].

---

[١] يفرز هرمون الأدرينالين من الغدة الكظرية الواقعة فوق الكلية. ويقوم هذا الهرمون بدور كبير في الحالات الطارئة كالخوف والغضب، فيعمل على زيادة ضربات القلب، وانقباض الأوعية الدموية، وارتفاع ضغط الدم. (القذافي، علم النفس الفسيولوجي ص١١١).

[٢] عبد الخالق، محاضرات في علم النفس الفسيولوجي ص٨٧.

[٣] الزمخشري، الكشاف ٣١٦/٤. وشخوص البصر ناتج عن إفراز الجسم لهرمون الأدرينالين المذكور حيث يقوم بتوسعة حدقة العين ترقباً للخطر (انظر: عبد الخالق، محاضرات في علم النفس الفسيولوجي ص ٢٣٦).

[٤] قطب، في ظلال القرآن ٣٢٩٦/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحالة دوران العين تعكس شدة الخوف وترقبه من جميع الجهات، إذ كل شيء تقع عليه العين أصبح مصدراً للخوف، قد يُصدر في أي لحظة شيئاً يسبب الذعر والهول، "وهكذا خوف الجبناء من القتال" [١].

وفي غزوة الأحزاب، هناك حيث أحاطت الجيوش بالخندق، والمسلمون يقفون صامدين يمنعون الاقتحام. ثم هو ذا غدر اليهود يفتح جبهة أخرى للقتال لم يحسب لها حساب، جبهة من قِبَل بني قريظة ناقضي العهد.. ولم يبق أمام المسلمين إلا انتظار الموت[٢].
قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾ [الأحزاب:١٠].

"والزيغ: الميل عن الاستقامة، وزاغ البصر إشارة إلى ما يداخلهم من الخوف حتى أظلمت أبصارهم" [٣]، "وشخصت طامحة"[٤].
"فالأبصار مالت وعدلت، فلم تنظر إلى شيء إلا إلى عدوها مقبلاً من كل جانب، والقلوب شخصت عن مكانها، فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت"[٥].
وهي صورة تجسد رسالة الخوف والهلع المنبعثة من إيماءة العين الشاخصة تجاه عدوها تترقب الخطر.

وإذا كانت العين ترسل مثل هذه الرسالة في الحياة الدنيا، فالأمر في الآخرة أشد.
قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم:٤٢].

وقال سبحانه: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنبياء:٩٧].

تعد العين أكثر الأعضاء تزويداً للدماغ بالمعلومات، إذ المعلومة ليست صوتاً فحسب، بل هي صورة في حركات وأفعال وألوان، لكل منها دلالة خاصة ومعنى خاص. والعين تستجيب لهذه الصور إيجاباً وسلباً، فتارة تنقبض منعاً

---

[١] حوى، الأساس في التفسير، ٤٤٠٢/٨.
[٢] انظر ابن هشام، السيرة النبوية ١٧٥/٣.
[٣] الراغب، المفردات ٢٤٤.
[٤] الطبري، جامع البيان ١٤٩/٢١.
[٥] ابن الجوزي، زاد المسير ٣٥٨/٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لإدخال الصورة إلى القلب، وذلك عند رؤية مشهد يجلب أثراً سيئاً على القلب، كمشاهدة منظر أشلاء ودماء، وتارة تفتح أبوابها لاستقبال مشهد يجلب السرور إلى القلب.

ولكن الأمر مختلف إذا كان الخوف يتهددك، فالمشهد هنا يأسر العين، "فالأبصار مرتفعة لمشاهدة الأهوال"[١]، فلم تعد تملك الإغماض من هول ما تراه في ذلك اليوم"[٢].

[١] قال ابن فارس في معنى شخص: الشين والخاء والصاد أصل واحد يدل على ارتفاع في شيء. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٢٥٤/٣.

[٢] الشوكاني، فتح القدير ١٥٧/٣. انظر تفصيل هذا المشهد ص ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢. الذل:

وكما بسط الخوف سطوته على العين فأظهرت آثاره جلية، فالذل هنا ينشر أثوابه على فئة من الناس، طالما استكبرت في الدنيا وتعالت، فأصبح الذل دثاراً لها في الآخرة. والمشاهد ترتسم من خلال إيماءة العين.

قال تعالى مخاطباً نبيه ليعرض عن الكافرين: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾ [القمر:٦-٧].

ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم:٤٢-٤٣].

ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [المعارج:٤٣-٤٤].

كم يكون الموقف مذلاً عند سوق المجرم إلى ساحة القصاص.. العيون إليه ناظرة.. والقلوب له مبغضة.. لكن المشهد هنا لا يرقب أنظار الناس، وإنما يرقب نظر المجرم نفسه عند خروجه من سجنه المؤقت ليُقاد أمام الأشهاد. فالرأس خاضع.. والبصر خاشع.. لا يجاوز الأرض ذلاً وهواناً، يخشى مواجهة عتاب ربه.. ولوم النبيين والصالحين.

وموقف آخر ترسل فيه العين رسالة الذلة المحوطة بالخوف جراء عرض الكافرين على النار.

قال تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى:٤٥].

فالعين هنا هي الناطق الرسمي عن جميع الأعضاء بما تصدره من بيان إيمائي يعكس حالة النفس والجوارح في تلك المواقف، لتؤدي رسالتها إلى المستقبل، فتؤثر فيه لتحقيق أهداف رسالتها، استكمالاً لعملية الاتصال[١].

٣. الحسد:

[١] انظر تفصيل المشهد ص٨٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إيماءة العين رسالة لها أكثر من معنى، والموقف الاتصالي هو الذي يحدد المعنى المراد منها، وتعد إيماءات وحركات بقية الأعضاء وسائل مساعدة لإيصال المعنى. وعليه، فالرسالة الصادرة عن عضو من أعضاء الجسم لا يمكن فصلها عن بقية الأعضاء، إذ الأعضاء كلها تُسخّر خدمة للعضو المرسل للإيماءة تحقيقاً للمعنى المطلوب.

فإذا كان شخوص البصر في الموقف المخيف يعكس صورة الخوف والهول المحيط بالجسم، فإن شخوص البصر قد يؤدي رسالة أخرى في موقف اتصالي آخر، ومثال ذلك:

يقول تعالى في شأن كفار قريش الذين امتلأت قلوبهم غيظاً وحسداً على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [القلم:٥١]

وتحليل هذه الآية عند المفسرين متقارب، فيرى بعضهم أنها نظرة شديدة الغيظ تتمنى أن لا تفارق المنظور حتى تصرعه أو تقتله، من قولهم : نظر إليّ فلان نظرة يكاد يصرعني ويكاد يأكلني، أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعل[١].

ويرى فريق آخر[٢] أنها نظرة ترمي بها العين سمومها إلى المنظور فتصيبه، كما يفعل العائن بعينه ما يعجبه. ويقوي هذا القول ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "العين حق"[٣]. وما ثبت أن جبريل عليه السلام علم نبينا الرقية الشرعية فقال : "باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، باسم الله أرقيك"[٤]. والشاهد فيها قوله: "أو عين حاسد"، فالإصابة بالعين حق يجب الإيمان به. قال النووي[٥]: "ومذهب أهل السنة أن العين إنما تفسد وتهلك عند نظر العائن بفعل الله تعالى، أجرى الله سبحانه وتعالى العادة أن يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص آخر".

٤. الحزن:

العين تبرز أكبر مظاهر الحزن والفرح من خلال الدموع الفائضة منها. ويلعب الموقف الاتصالي دوره الفعال في تحديد حالة الحزن أو الفرح.

---

[١] انظر الطبري، جامع البيان ٢٩/٥٥، والجمل، الفتوحات الإلهية ٨/٨٧

[٢] انظر الخازن، لباب التأويل ٦/٢٦٢.

[٣] مسلم ، صحيح مسلم ، كتاب السلام، باب الطب والمرضى والرقى ح (٢١٨٧).

[٤] المرجع السابق، كتاب السلام، باب الطب والمرضى والرقى ح (٢١٨٦)، وأخرج الشيخ ناصر الألباني في السلسلة الصحيحة مجموعة من الأحاديث تفيد أن العين لها ضرر بنظرة الحسد. انظر الألباني ، السلسلة الصحيحة ٣/٢٥٠.

[٥] النووي، المنهاج ١٤/٣٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد عرض القرآن صوراً مفعمة بعاطفة الحزن الناشئة عن حقيقة الإيمان الراغبة في الجهاد ولكنها لا تملك عدته.

قال تعالى : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْاْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة:٩٢].

وهم فئة من الصحابة تاقت نفوسهم للجهاد، فقدموا للنبي صلى الله عليه وسلم يطلبون منه حمولاً يحملهم عليه، فلم يجد ما يحملهم عليه فاعتذر إليهم، فأجهشت أنفسهم معبرة عن صدق رغبتهم بفيض من الدموع تفيض من أعينهم. وهي رسالة "مؤثرة تحمل معاني الألم الصادق للحرمان من نعمة الجهاد"[١]. والتعبير بالفيض يرخي ظلال البلاغة في وصف إيماءة العين، "فقد جعل العين كلها وكأنها دمع يفيض"[٢]. فها هي أعينهم "تمتلئ دمعاً يتدفق فائضاً من جوانبها تدفقاً، حتى كأنها ذابت فصارت دمعاً"[٣].

ومشهد آخر يصوره القرآن بطريقته الفريدة عندما تجعل العين دمعها مداداً يرسم لوحة ذلك المشهد المؤثر. قال تعالى واصفاً حالة يعقوب عليه السلام بعد فقده ولديه يوسف وأخيه: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يوسف:٨٤].

فهي تصور حالة البكاء المفرط الذي اعترى يعقوب عليه السلام ، "ذلك البكاء الذي كثر فيه ماء العين حتى كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء"[٤].

ففي هذين المشهدين تعبر العين برسالة واضحة حالة الحزن الكميد الذي اعترى المرسل في حالة الحرمان من الجهاد ثم في حالة فقدان الولد.

٥. الإيمان والخشوع:

إذا كانت الدمعة مظهراً من مظاهر الحزن، فهي كذلك مظهر من مظاهر الإيمان والتفاعل مع النص القرآني، ليفيض الإيمان من القلب ويرتسم دمعاً في العين.

---

[١] قطب، في ظلال القرآن ١٧٣١/٣.

[٢] الزمخشري، الكشاف ٢٩١/٢.

[٣] رضا، المنار ٥٠٨/١٠.

[٤] ابن الحنبلي، اللباب ١٩٠/١١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى في شأن قسيسي ورهبان النصارى المخلصين: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [المائدة:٨٣].

ولنصغ إلى سيد قطب يصف لنا المشهد[١]: " فهذا مشهد حي يرتسم من التصوير القرآني لهذه الفئة من الناس الذين هم أقرب مودة للذين آمنوا. إنهم إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول من هذا القرآن اهتزت مشاعرهم ولانت قلوبهم وفاضت عيونهم بالدمع تعبيراً عن التأثر العميق العنيف بالحق الذي سمعوه، والذي لا يجدون له في أول الأمر كفاء من التعبير إلا الدمع الغزير. وهي حالة معروفة في النفس البشرية حين يبلغ بها التأثر درجة أعلى من أن يفي بها القول ، فيفيض الدمع ليؤدي ما لا يؤديه القول ، وليطلق الحبيسة من التأثر العميق".

٦. ضعف الإيمان:

وإذا عبرت العين عن معنى الإيمان من خلال رسالة الدمع، فها هي ذا تعبر عن ضعف الإيمان من خلال رسالة استراق النظر والتقاط صور لها ما لها من أثر سيء على النفس وفتح باب الشهوة المحرمة.

قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر:١٩].

"وهو استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب"[٢].

٧. السخرية:

من المعاني التي تظهرها العين بإيماءاتها السخرية، وقد سجل القرآن الكريم موقفين تتجلى فيهما هذه الإيماءة.

قال تعالى فاضحاً شأن المنافقين في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [التوبة:١٢٧].

---

[١] قطب ، في ظلال القرآن ٩٦٢/٢

[٢] الزمخشري، الكشاف ١٥٤/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهم جالسون في مجلس تتنزل فيه سورة يتلوها النبي صلى الله عليه وسلم، فبدل أن يخشعوا ويخبتوا كحال المؤمنين، أخذ ينظر بعضهم إلى بعض. "وهو الإيماء والتغامز بالعيون إنكاراً للوحي وسخرية"[١]. ثم يؤكدون إيماءة العيون بقولهم : هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف، "ثم تلوح لهم غرة من المؤمنين وانشغال، فإذا هم يتسللون على أطراف الأصابع في حذر"[٢]، "لئلا يفتضحوا بما يظهر عليهم من الإنكار والسخرية بالوحي"[٣].

وقد حلل بعض المفسرين هذه النظرة تحليلاً آخر[٤]، فأفاد منها معنى التعجب والدهشة والحيرة. وذلك أن السورة النازلة تفضح أعمالهم الخبيثة ومخططاتهم الدنيئة، فينظر بعضهم إلى بعض هذه النظرة الداهشة الحائرة المؤكدة بقولهم مستنكرين: هل يراكم من أحد إن تكلمتم أو تناجيتم بمعايب القوم يخبرهم ، ثم قاموا فانصرفوا مبهوتين.

فأدت إيماءة العين المتمثلة بنظر بعضهم إلى بعض رسالتين : رسالة سخرية ورسالة دهشة وحيرة، والذي يحدد المعنى ويفصل فيه ما احتوته الآيات النازلة في ذلك المجلس، فإن كان فيها ذكر لفضائحهم تقرر المعنى الثاني، وإلا فالأول.

وقال سبحانه في شأن الساخرين بالمؤمنين : ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المطففين:٣٠].

وأصل الغمز: "الإشارة بالجفن أو اليد طلباً إلى ما فيه مُعاب"[٥]. "فهي حركة وضيعة واطية تكشف عن سوء الأدب والتجرد من التهذيب"[٦]، حين تتراشق أعين المجرمين رسائل سخرية بالمؤمنين وانتقاص لمقامهم وما هم عليه من الإيمان.

٨. حُسن الخُلُق:

الخلق الحسن له مظاهر كثيرة كان للعين نصيب منها:

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور:٣٠]

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور:٣١].

وهي رسالة أدب وإحجام عن التقاط صور تطبع على القلب طابع الشهوة، بل هي رسالة توحي بكثير من الأمن والطمأنينة على العِرض والشرف والفضيلة[١].

---

[١] أبو حيان، البحر المحيط ١٢٠/٥.

[٢] قطب، في ظلال القرآن ١٧٤٢/٣.

[٣] رضا، المنار ٦٨/١١.

[٤] انظر الطبري، جامع البيان ٨٨/١١، ابن عطية، المحرر الوجيز ٨٧/٧.

[٥] الراغب، المفردات ٤٠٩.

[٦] قطب، في ظلال القرآن ٣٨٦١/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩. التساهل في الأمر :

قال تعالى في شأن المنفقين من خبائث أموالهم: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ ﴾ [البقرة:٢٦٧].

والمعنى: ولستم بآخذي الخبيث من إنفاقكم لو عرض عليكم إلا أن تغمضوا فيه، "أي إلا أن تتساهلوا فيه تساهل من أغمض عينيه فلم ير العيب فيه، ولن يرضى ذلك لنفسه أحد إلا وهو يرى أنه مغبون مغموص الحق"[٢].

١٠. الأمن:

تغميض العين وإسبالها رسالة موحية بالنعاس الناجم عن تعب أو سهر. ولكن القرآن يصور ذلك المشهد الذي تضطرب فيه النفوس وتخفق فيه القلوب ويتجافى النوم عن العيون خوفاً وفزعاً وترقباً للمخاطر. في ذلك المشهد تتنزل الغشية على العيون لتأمر الجوارح بتجاهل كل رسائل التهديد لتشعر بالأمن والرخاء.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وقال تعالى: ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ ﴾ [الأنفال:١١].

فالمشهد مشهد معركة، كانت في المشهد الثاني[٣] غزوة بدر حين طرق أسماع المؤمنين كثرة عدد عدوهم مع قلة عددهم وعدتهم. ولكن إخلاصهم لربهم كان لهم نجاء، فإذا النعاس يغسل خوفهم ويبدد رهبتهم.

وفي المشهد الأول كانت غزوة أحد.. بعد تزعزع الصف المؤمن والتفاف خالد من وراء الجبل، وتفرق المؤمنين عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يعد أحد يلتفت إلا إلى نفسه من شدة الخوف، فما هي إلا لحظات فإذا بالنعاس يغشاهم[٤]. أخرج البخاري عن أبي

---

[١] فصلت آثار هذه الإيماءة على الفرد والمجتمعات انظر ص ١٢٠.

[٢] رضا، المنار ٦١/٣، وانظر مزيداً من التفصيل ص ١٠٦.

[٣] ابتدأت بالمشهد الثاني مراعاة للترتيب الزمني.

[٤] ابن هشام، السيرة النبوية ٩١/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

طلحة الأنصاري : "كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من بين يدي مراراً يسقط وآخذه ويسقط فآخذه"[١].

"ذلك النعاس الذي يفعل في كيانهم فعل السحر، ويردهم خلقاً آخر جديداً، ويسكب في قلوبهم الطمأنينة كما يسكب في كيانهم الراحة بطريقة مجهولة الكنه والكيف"[٢].

وها هو الرازي يبين سر كون النعاس من الله –أمنة منه– مع أن كل نوم ونعاس لا يحصل إلا من قِبَل الله ، يبين ذلك في عدة نقاط في تفسيره لآية الأنفال[٣]:

أ. إن الخائف من عدوه خوفاً شديداً لا يأخذه النوم، فصار حصول النوم في وقت الخوف الشديد دليلاً على زوال الخوف وحصول الأمن.

ب. إنهم خافوا من جهات كثيرة: قلة المسلمين وكثرة الكافرين، وكثرة الأهبة والآلة والعدة للكافرين، والعطش الشديد، فلولا حصول النعاس، وحصول الاستراحة لما تمكنوا في اليوم الثاني من القتال لمّا تمّ الظفر.

ت. إنهم ما ناموا نوماً غرقاً يتمكن العدو منهم، بل كان ذلك نعاساً يزيل الإعياء والكلالة بحيث لو قصدهم العدو لعرفوه ولقدروا على دفعه.

ويذكر د. سامي عبد القوي أنواع النوم: العميق، والخفيف. ويعبر عن النوم الخفيف "نوم حركة العين السريعة"، ويقول: "وفي هذا النوم تتميز وظائف الجسم بمظاهر شبيهة بحالة اليقظة والتحفز، حيث يزداد سريان الدم، ويزيد معدل ضربات القلب والتنفس. ويشير رسام المخ إلى تخطيط يتميز بحالة من الصحو الوظيفي، وليس الوعي الحسي"[٤].

١١. الطمع:

ذم القرآن الطمع ونهى عنه. ولم يقف الأمر عند ذلك النهي العام بل تعدى إلى العين آمراً لها أن تكف تلك الرسالة التي تعكس حالة الطمع وتعبر عنها. ويوجه النهي إلى رسوله صلى الله عليه وسلم باعتباره قدوة المجتمع.

قال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨].

---

[١] البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: "ثم أنزل عليكم"، ح (٤٠٦٨). وانظر مزيداً من الروايات إبراهيم العلي، صحيح السيرة النبوية، ص٢٢٤.

[٢] قطب ، في ظلال القرآن ٤٩٥/١.

[٣] الرازي ، التفسير الكبير ٤٦١/٥

[٤] علي، علم النفس الفسيولوجي ص٢٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:١٣١].

وقد فصلت فحوى هذه الرسالة وآثارها في الفصل الرابع[١].

١٢. التأمل:

كثيراً ما يربط القرآن بين التأمل والبصر: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ ، ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ، ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ وذلك لأنه الوسيلة الأعظم في نقل المعلومات إلى الدماغ، ومن ثم إدراك حقائق الأشياء.

وها هو القرآن يصور لقطة تأملية لنبي الله إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [الصافات:٨٨-٨٩].

"فقد كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم بذلك لئلا ينكروا عليه" [٢]، فرأى نجماً قد طلع فقال إني سقيم، -"أراد أن يتركوه ويخرجوا عنه ليخالفهم إليها فيكسرها"[٣]-.

وقد أجاب الزمخشري عن شبهة الكذب فقال[٤]: "الصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرّض وورّى. والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض من الكلام ، ونوى به أن من في عنقه الموت سقيم. وقيل: أراد إني سقيم النفس لكفركم".

وعليه، فقد فهم القوم أن نظرة إبراهيم عليه السلام للنجوم نظرة تأمل وتفكر، وذلك لعلمهم بالنجوم وأحوالها فلم ينكروا عليه قوله.

يظهر مما سبق أن العين تعبر عن كثير من المشاعر الكامنة في النفس، بحسب الموقف الذي تصدر فيه العين مثل هذه الإيماءة. فشخوص البصر يبعث رسالة الخوف، وخشوع البصر يصور حالة الذل، وإدامة النظر تعطي معنى الحسد، والدمع المتساقط من العين يرسم حالة الحزن والكمد تارة، وحالة الخشوع والإيمان تارة أخرى، يحدد ذلك الموقف الذي تسقط العين دمعها فيه. ثم تبعث العين رسالة الخُلُق الحسن من خلال إيماءة غض

---

[١] انظر ص ١٢٣.

[٢] الشوكاني، فتح القدير ٥٢٨/٤.

[٣] الطبري، جامع البيان ٨٤/٢٣.

[٤] الزمخشري، الكشاف ٤٧/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الطرف عن المحارم. وكل ذلك يرتسم مـــن خـــلال إيمـــاءة العـــين فـــي مواقـــف عديـــدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني :إيماءات الوجه

يعد الوجه محط الأنظار، ومعرض الأفكار، وعليه تظهر المشاعر، ومنه تصدر كثير من الرسائل.. الرسائل المعبرة عن الاتجاهات والسلوك والسرائر. وقد صور القرآن مشاهد عديدة تُظهر إيماءات الوجه بمعان مختلفة.

١. التعجب:

للتعجب إيماءات عديدة تظهر على الوجه، قد ذكر القرآن مشهداً منها:

قال تعالى عن امرأة إبراهيم عليه السلام لما جاءته الملائكة تبشره بإسحق: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات:٢٩].

"والصرة: الصيحة"[١]، وصكت وجهها : "لطمت وجهها"[٢]، "وهو ضرب الوجه بأطراف الأصابع فعل المتعجب، وهو من عادة النساء إذا أنكرن شيئاً"[٣]. يقول سيد[٤]: "وقد سمعت البشرى فبغتت وفوجئت، فندّت منها صيحة الدهش على عادة النساء، ضربت خديها بكفها، وقالت : عجوز عقيم. تنبئ عن دهشتها لهذه البشرى، وهي عجوز وقد كانت من الأصل عقيماً".

٢. أدب الطلب:

كثيراً ما ينطلق اللسان مفصحاً عن حاجة يطلبها الفرد من آخر، ولكن قد يصمت اللسان عن النطق بالحاجة أدباً وتعظيماً للمطلوب منه، وحياءً منه أن يكون في غير وقته. وتزداد هذه الأخلاق رفعة في مقام الطلب من الله سبحانه، خاصة وإذا كان الطالب رسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ﴾ [البقرة:١٤٤].

أخرج البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً ، وكان رسول الله يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله "قد نرى تقلب وجهك في السماء" الآية"[٥].

---

[١] ابن عطية، المحرر الوجيز ٢٦/١٤

[٢] الطبري ، جامع البيان ٢٤٤/٢٦، والزجاج ، معاني القرآن ٥٥/٥.

[٣] ابن الحنبلي، اللباب ٨٦/١٨.

[٤] قطب، في ظلال القرآن ٣٣٨٣/٦. أدرجت هذه الآية هنا و لم أدرجها في حركة اليد، لأن إيماءة التعجب في الوجه أظهر.

[٥] البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الصلاة، باب القبلة ح (٨٧٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فالرسول يقع في رُوعه ويتوقع من ربه عز وجل أن يحوله إلى الكعبة لأنها قبلة إبراهيم وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم، ولمخالفة اليهود"[١].

عبر القرآن عن هذه الرغبة بتقلب الوجه، وإنما يتقلب البصر ، "وذلك لزيادة اهتمامه وشوقه، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر"[٢].

٣. أثر العبادة:

للعبادة آثار ظاهرة ترتسم على أعضاء الجسم، وإنما تظهر بوضوح في الوجه.

قال تعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الفتح:٢٩].

وهذه الآثار وما تعكس على الجوارح من خشوع وسمت حسن، كلها رسائل موحية بالخشوع والعبادة[٣].

٤. الفقر:

الفقر داء عضال سرعان ما تنتشر علاماته على الجسم واللباس وتتعالى على الوجه.

قال تعالى في شأن المتعففين عن مد يد الصدقة: ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة:٢٧٣].

وقد ذكر بعض المفسرين أوصافاً لهم: منها صفرة الوجه[٤]، ورثاثة الحال[٥]. لكن صاحب المنار كان أكثر دقة حيث قال[٦]: "والصواب أن هذه السيما لا تتعين بهيئة خاصة لاختلافها باختلاف الأشخاص والأحوال. وإنما تترك إلى فراسة المؤمن الذي يتحرى بالإنفاق أهل الاستحقاق، فصاحب الحاجة لا يخفى على المتفرس مهما تستر وتعفف. فكم من سائل يأتيك رث الثياب خاشع الطرف والصوت، تعرف من سيماه أنه يسأل تكثراً وهو غني. وكم من رجل يقابلك بطلاقة وجه وحسن بزة[٧] فتحكم الفراسة في لحن قوله ومعارف وجهه أنه مسكين عزيز النفس".

---

[١] أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٢١٤/١.

[٢] السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١٢٢/١.

[٣] انظر تفصيل المشهد ص ١٢٧.

[٤] الزمخشري، الكشاف ٣١٣/١.

[٥] البيضاوي، أنوار التنزيل ١٦٢/١.

[٦] رضا، المنار ٧٥/٣.

[٧] البَزُّ: الثياب، ويطلق على الهيئة والشارة واللِّبسة. (انظر ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم ١٤/٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. الكِبر:

خلق ذميم يعكس حالة التعالي على الخلق وإشعارهم بالتنقص. وقد بالغ القرآن في ذمه ونهى عن مقاربته.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان:١٨].

" والتصعير : إمالة العنق إلى جانب ليعرض عن جانب آخر"[١]، وهي رسالة تورث صاحبها البغضاء[٢].

٦. الغضب:

غضبنا من شيء قد يكون تعبيراً بالكلام، وقد يرتسم إيماءة على الوجه. وها هو القرآن يعرض صورة أولئك الكفار حين تتلى عليهم آيات القرآن.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ﴾ [الحج:٧٢]. "أي يتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من تغيرها لسماعهم القرآن"[٣]، ويظهر هذا التغير في غضبهم وعبوسهم[٤] وتجهمهم وبسورهم[٥].

وهذا أنموذج آخر من تلك النماذج الحائرة الحاقدة على عظمة القرآن، يصور القرآن اضطرابها وحيرتها أبدع تصوير.

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾ [المدثر:١٨-٢٤].

فالمعنى أنه أولاً فكر.. وثانياً قدر أمراً.. وثالثاً: نظر في ذلك المقدر. فالنظر السابق للاستخراج -استخراج وتقدير فكرة-، والنظر اللاحق لتمام الاحتياط -ليحسن سبكها وصياغتها- [٦].

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦٦/٢١.

[٢] انظر التفصيل ص ١٢٤.

[٣] الطبري ، جامع البيان ٢٣٦/١٧.

[٤] أبو حيان، البحر المحيط ٦٣٤/٣

[٥] الزمخشري ، الكشاف ١٦٦/٣.

[٦] انظر ابن الحنبلي، اللباب ٥١٢/١٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم عبس: "عَبَس يَعبِس فهو عَبِس، إذا قطب ما بين عينيه وقبض وجهه تكرهاً"[١]، "فإذا أبدى أسنانه في عبوسه فقد كلح، فإن اهتم لذلك وفكر فيه فقد بسر"[٢].

فالمشهد يصور دقة تعابير الوجه..بل دقة خلجات النفس الأمارة بالسوء.. ترتسم كلها إيماءات يرسلها الوجه معلناً فيها حربه على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول سيد : "ثم يرسم المشهد تلك الصورة المبدعة المثيرة للسخرية والرجل يكد ذهنه ويعصر أعصابه ويقبض جبينه، وتكلح ملامحه وقسماته، كل ذلك ليجد عيباً يعيب به القرآن وليجد قولاً يقوله فيه. "إنه فكر وقدر".. لمحة لمحة.. وخطرة خطرة.. وحركة حركة يرسمها التعبير كما لو كانت ريشة تصور لا كلمات تعبر..بل كما لو كانت فيلماً متحركاً يلتقط المشهد لمحة لمحة!!. لقطة وهو يفكر ويدبر.. ومعها دعوة هي قضاء "فقتل".. واستنكار كله استهزاء "كيف قدر؟" ثم تكرار الدعوة والاستنكار لزيادة الإيحاء بالتكرار . ولقطة وهو ينظر هكذا وهكذا في جد مصطنع متكلف يوحي بالسخرية منه والاستهزاء. ولقطة وهو يقطب حاجبيه عابساً ويقبض ملامح وجهه باسراً ليستجمع فكره في هيئة مضحكة! وبعد هذا المخاض كله وهذا الخرق كله لا يفتح عليه بشيء ، إنما يدبر عن النور ويستكبر عن الحق، فيقول : إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر"[٣].

ولما كان للعبوس أكبر الأثر في صد المدعوين عن الدعوة، نهى سبحانه نبيه أن يعبس في وجه مدعوه ولو كان أقل الناس حظاً في الدنيا.

قال تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾ [عبس:١-٢].

أخرج الطبري بسنده عن عائشة قالت : أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم. قالت : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول : أرشدني. قالت: وعند رسول الله من عظماء المشركين، فجعل النبي يُعرض عنه ويُقبل على الآخر، ويقول : أترى بما أقوله بأساً؟ فيقول: لا . ففي هذا أنزلت"[٤].

٧. الخضوع:

قال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴾ [طه:١١١].

---

[١] الطبري، جامع البيان ١٨٥/٢٩.

[٢] ابن الحنبلي ، اللباب ٥١٢/١٩.

[٣] قطب ، في ظلال القرآن ٣٧٥٧/٦

[٤] الواحدي، أسباب النزول ص٢٥٤، وانظر الطبري، جامع البيان ٦٤/٣٠، وبدر، تفسير أم المؤمنين ٢٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وذلك في موقف الحشر والحساب عند الوقوف بين يدي الله. " والخشوع : التذلل لذي طاعة"[١]، "وهي الذلة قبال قهر القاهر"[٢]. فترى الوجوه خاشعة حزينة خائفة لا ترتفع ولا تنتصب[٣].

٨. الراحة والسرور:

هناك سيما للوجوه تعد رسائل فرح وسرور تعكس الراحة النفسية التي يتمتع بها مرسلها. وقد رسم القرآن تلك الملامح المضيئة على وجوه المؤمنين يوم القيامة. ففي موقف الحشر:

قال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢].

وقال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس:٣٨-٣٩].

وفي نعيم الجنات: قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٧]. وقال سبحانه: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس:٢٦].

وقال: ﴿ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [المطففين:٢٤]. وقال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ [الغاشية:٨].

فملامح الوجه رسائل مميزة للمؤمنين عن الكافرين يوم القيامة، فوجوههم بيضاء بسبب البشر والإشراق[٤]، فلا يغشاها كآبة الغم ولا كسوف الحزن ولا غبار الذلة [٥]، بل هي حسنة جميلة ناضرة[٦]، بهية متهللة من عظيم المسرة يشاهد عليها نضرة النعيم [٧]، ثم ترتسم مع الاستنارة ضحكة الاستبشار والرضا[٨]. وهي مع كل ذلك متنعمة في نعيم دائم، أضحت النعومة رسمها ووصفها.

---

[١] ابن عبد السلام، تفسير القرآن ٣١٣/٢.

[٢] الحسيني، مختصر الميزان ٣١٩.

[٣] انظر تفصيل المشهد ص ٨٦.

[٤] البيضاوي، أنوار التنزيل ٣٢/٢.

[٥] انظر الطبري، جامع البيان ١٢٢٦/١١.

[٦] الراغب ، المفردات ٥٥١

[٧] الآلوسي، روح المعاني ٢٢٣/٢٩.

[٨] قطب ، في ظلال القرآن ٣٨٣٤/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩. الخزي:

وإذا كانت سيما المؤمن ترتسم في أبهى صورة وأبهج منظر، فإن ملامح الكافر تعكس الخزي والخوف والذلة والبسور.

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ [الزمر:٦٠].

وقال : ﴿ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ [يونس:٢٧].

وقال : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [الملك:٢٧].

وقال : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٤-٢٥].

وقال : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس:٤٠-٤١].

وقال : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴾ [الغاشية:٢].

وقال : ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن:٤١].

وقال : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه:١٠٢].

فوجوههم سوداء مظلمة كأنما أغشيت وجه كل إنسان منهم قطعة من سواد الليل[١]، وهي رسالة الخزي والكمد[٢].

ووجوههم باسرة : أي كالحة عابسة كئيبة[٣]، تعلوها غبرة الحزن والحسرة حتى تكون تلك السيما: سيما معروفة يعرفها الأشهاد أنها سيما المجرم "يعرف المجرمون بسيماهم".

وصنف آخر يحشر أزرق اللون يرسل أبشع رسالة يشمئز الناظر من رؤيتها لما تحمل من معاني اليأس والعذاب والنفور[٤].

وإذا كان السواد وصفاً دائماً لوجوه الكافرين يوم القيامة، فهو وصف طارئ على وجوه صنف من الناس في الدنيا لم يستسلموا لحكم الله.

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [النحل:٥٨]٥٨.

وقال : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [الزخرف:١٧].

---

[١] الطبري، جامع البيان ١٢٨/١١.

[٢] انظر قطب، في ظلال القرآن ٣٠٥٩/٥.

[٣] الشوكاني، فتح القدير ٤٥٠/٥.

[٤] انظر تفصيل سيما الكافر ص ٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فاسوداد الوجه رسالة الاغتمام"[١]، والحزن والضيق.

وذلك عائد لما يعتري عضلات الوجه من انقباض وخنق[٢]، يمنع مرور الدم في الشرايين كعادتها، فينقلب الوجه أسود شاحباً مظهراً رسالة التوتر والكمد الذي يتجرعه.

ولما كان الوجه أكثر الأعضاء إظهاراً للمشاعر.. فإن آثار المساءة في وجوه الأعداء ستكون دلالة النصر عليهم.

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ [الإسراء:٧].

"أي ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها، كقوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [الملك:٢٧]" [٣]. ويسألونك متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً.

١٠. صور العذاب[٤]:

إذا كان وجه الكافر في الدنيا يرسم رسالة الكبر والتعالي والإدبار والإنكار للحق، فإن النصيب الأكبر من العذاب يوم القيامة سيكون حظه، ليكون كل صنف من العذاب رسالة زاجرة لكل من يقارف مثل هذه الدنايا.

فمشوارهم يبتدئ من مفارقتهم للحياة الدنيا واستهلالهم للحياة الآخرة.. يبتدئ بالضرب على الوجوه والأدبار: قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال:٥٠]، وقال سبحانه: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾ [محمد:٢٧].

ثم الحشر في يوم الحشر على الوجوه ليكون رسالة ذلة لكل مستكبر:

قال تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء:٩٧]. وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَـٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٤].

---

[١] انظر البيضاوي، أنوار التنزيل، ٣/٢٣٠.

[٢] في حالات الخوف والقلق تنقبض عضلات الأوعية الدموية العميقة، فتحدث ارتفاعاً في ضغط الدم. كما تنقبض الأوعية الدموية الموجودة على سطح الجلد، مما يتسبب في شحوب الجلد وشحوب لون الوجه. (انظر علي، علم النفس الفسيولوجي ص٢٣٩).

[٣] الزمخشري، الكشاف ٢/٦٢٥.

[٤] فصلت هذا العنوان عن سابقه لأن سيما الوجه في النقطة السابقة ذاتية، أما في هذا العنوان فبمؤثر خارجي (عذاب الملائكة).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإذا ما قذفوا في النار كانت الوجوه أول الأعضاء مباشرة لها. قال تعالى : ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل:٩٠].

وفي وسط النار .. لا تجد وجوههم منفذاً يبعدها عن لفح النار ولهيبها. قال تعالى : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٤]. وقال سبحانه : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٩]. ولا يقف الأمر عند ذلك بل يتعداه إلى تقليب الوجه في النار وسحبه لينال حظه من مس سقر. قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب:٦٦]. وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر:٤٨].

وكل ذلك يرتسم من خلال لغة الجسم ليكون أبدع تصويراً وأوفى بياناً وأبلغ تأثيراً[١].

[١] فصلت صور العذاب المذكورة ص٩٤ فانظرها إن شئت.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: الضحك

للضحك دلالات عديدة، فهناك ضحكة السرور، وضحكة التفريج أو التنفيس، وضحكة المجاملة، وضحكة الزهو، وضحكة الشفقة، وضحكة التهكم.. [١]، وقد ذكر القرآن بعضها:

١. التعجب:

ذكر القرآن الكريم موطنين تكون فيهما الضحكة رسالة للتعجب. المشهد الأول لامرأة إبراهيم عليه السلام حين جاءت الملائكة تخبر إبراهيم بهلاك قوم ابن أخيه لوط عليهما السلام. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [هود:٦٩-٧٢].

"وكانت امرأة إبراهيم في تلك الحال واقفة، ولعل وقوفها كان للخدمة. فضحكت تعجباً مما رأت وسمعت. وقيل: سروراً بالأمن من الخوف أو بقرب عذاب قوم لوط لكراهيتها لسيرتهم الخبيثة"[٢]. ورجح الإمام الطبري أن ضحكها كان تعجباً من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه[٣].

والمشهد الثاني: ذلك المنظر البديع حين تتكلم النملة مشفقة على بني جنسها، وآمرة إياهم أن يدخلوا مساكنهم خشية أن يطأهم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فأفهم الله سليمان هذه الرسالة فضحك تعجباً وإعجاباً.

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل:١٨-١٩]

---

[١] انظر خريسات، سيكولوجية الضحك ٩٢-١٠٦.

[٢] رضا، المنار ١٠٧/١٢.

[٣] الطبري، جامع البيان ٨٩/١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"وسبب ضحكته إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته وجنوده وشفقتهم، وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى. وذلك قوله : "وهم لا يشعرون" تعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا. وقيل : بل سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من إدراكه بسمعه ما همس به بعض النمل الذي هو مثل في الصغر والقلة ، ومن إحاطته بمعناه"[١].

والأظهر[٢] أنه تعجب من شفقة النملة على بني جنسها ورحمتها عليهم من سليمان وجنوده.

٢. الاستهزاء:

وإذا كان لكل عضو إيماءة وحركة تعبر عن خلق حسن، فكذلك يستغلها المنحرفون لإرسال سموم أخلاقهم.

قال تعالى في شأن موسى عليه السلام ودعوته إلى فرعون: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ [الزخرف:٤٧].

"أي يسخرون منها ويهزءون بها ويسمونها سحراً"[٣]، شأن الجهال المتعالين[٤]. وهي رسالة تسفيه وهزء بالرسول تعكس تكبرهم وتعاليهم.

وإذا كان ديدن الكافرين مع الرسل هكذا..فلا عجب إن فعلوا ذلك مع أتباع الرسل.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين:٢٩].

"يضحكون منهم إما لفقرهم ورثاثة حالهم، وإما لضعفهم عن رد الأذى، وإما لترفعهم عن سفاهة السفهاء"[٥].

ويتولى سبحانه الدفاع عن عباده المؤمنين، قال تعالى متوعداً الكافرين: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة:٨٢].

فهو ضحك في هذه الأرض وأيامها المعدودة وبكاء طويل في الآخرة.

المبحث الرابع: وصف الرأس وحركته:

---

[١] الزمخشري، الكشاف ٣٤٦/٣. بتصرف

[٢] قلت الأظهر لأن سليمان عليه السلام قد حشر له أصناف الطيور وأفهمه الله كلامهم، فسروره بذلك كان قبل هذه الحادثة.

[٣] الزمخشري، الكشاف ٢٤٨/٤.

[٤] قطب، في ظلال القرآن ٣١٩٢/٥.

[٥] المرجع السابق ٣٨٦١/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وصف الرأس وحركته يزودنا بمعلومات عديدة منها: كبر السن ، الخوف ، الذل، السخرية، .. وغيرها. صور القرآن بعض هذه المشاهد:

١. كبر السن:

قال تعالى حاكياً دعاء زكريا عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم:٤].

فلون الشعر الأبيض ووهن العظم رسالة تفيد أن زكريا قد تقدم سنه، وأصبحت فرصة إنجابه للولد نادرة. ولبلاغة القرآن دور في إظهار الصورة. " فقد شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار، وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها. ثم أخرجه مخرج الاستعارة، وأسند الاشتعال إلى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة، وجعله مميزاً إيضاحاً للمقصود"[١].

وبيانه: أنه يستعير لصورة الشيب في الرأس وسرعة انتشاره فيه صورة النار التي أخذت تشتعل وتضرم ما حولها بسرعة. ولم يقف عند هذه الصورة فحسب، بل أخذ يدمج الصورتين معاً لتغدوان صورة واحدة خلابة، فاستعار وهج النار لبياض الشيب واستعار الاشتعال لانتشار الشيب في الرأس، وأسند الاشتعال إلى الرأس مع أن المشتعل هو الشيب مبالغة في سرعة انتشاره وشموله لجميع الرأس. ووضع الشيب مميزاً ليفصح عن ماهية الاشتعال[٢].

٢. السخرية:

قال تعالى مخاطباً نبيه ومُعْلِمه بحال الكفرة حين يبلغهم أن الله قادر على إعادتهم إذا كانوا حجارة أو حديداً : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ [الإسراء:٥٠-٥١].

" والإنغاض تحريك الرأس نحو الغير كالمتعجب منه"[٣]، وتتمثل حركة الرأس برفع وخفض، وخفض ورفع[٤]، استنكاراً واستهزاءً[٥].

وهي رسالة هزء وسخرية يقابلون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هروباً من مقارعته الحجة بالحجة.

---

[١] الزمخشري، الكشاف ٣/ ٤ .وانظر البيضاوي، أنوار التنزيل ٥/٤.

[٢] انظر عباس، البلاغة فنونها وأفنانها ١٦٢/٢، ٢١٨/٢. قلت : وهي استعارة تصريحية.

[٣] الراغب، المفردات ٥٥٦.

[٤] انظر الطبري، جامع البيان ١١٥/١٥.

[٥] قطب، في ظلال القرآن ٢٢٣٣/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول سبحانه واصفاً حال المنافقين إذا دعوا ليستغفر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ ﴾ [المنافقون:٥].

"وفيه إشارة وإيماءة إلى موقفهم الرافض لما عرض عليهم من استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم. ولنا أن نتصور تلك الحركة التي قاموا بها حين جاءهم هذا العرض، ففي هذه الحركة كشف عن الاستخفاف بما عرض عليهم، وزراية به، وتقليل من قيمته"[١].

٣. الخوف:

تقدم في إيماءات العين تلك الإيماءة التي ترسم الخوف وتجسد الهول. وقد ذكرت سابقاً أن الإيماءة الواحدة الصادرة عن عضو واحد يساعدها في أداء رسالتها أعضاء أخر وإيماءات أخرى. فالرأس هنا يكمل مشهد الخوف مع إيماءة العين.

قال تعالى: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم:٤٣].

وإقناع الرأس: " رفعه ملتصقاً بالعنق"[٢]. وهي رسالة ذهول يشخص فيها البصر ويقنع فيها الرأس من هول المشهد.

وإذا كان الشيب ينتشر عند كبر السن عادة، إلا أنه قد يظهر في غير وقته لمرض أو خوف. ومشهد القيامة وهول الأحداث يجعل الشيب وصفاً عاماً لكل أفراد المشهد حتى ولو كانوا ولداناً.

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل:١٧].

فرسالة الشيب لا ترسم حالة الذعر والخوف فحسب بل تصور عظمة وجسارة الأحداث الهائلة يوم القيامة.

٤. الذل:

حركة الرأس المنكوسة توحي بأكبر مظاهر "الذل والندم والغم"[٣]، خاصة عند العرض للجزاء.

---

[١] الفيل، فنون التصوير ص٦٤.

[٢] الزجاج ، معاني القرآن ١٦٦/٣. انظر تفصيل المشهد ص ٨٧.

[٣] ابن جزي، التسهيل ١٤٢/١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [السجدة:١٢].
وهي رسالة مذكرة للغافلين عن موطن الحساب، ليقيموا أنفسهم على الكتاب[١].

٥. الجزاء والانتقام:

تعبر حركة الرأس الإرادية عن الحالة النفسية التي تعتري صاحبها. وقد تكون الحركة قسرية للجزاء والانتقام. صورتان مؤثرتان يعرضهما القرآن .. صورة جزاء على تفريط مظنون في قصة موسى وهارون عليهما السلام.. والصورة الثانية صورة انتقام من الكافرين يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ [طه:٩٤].

وقال تعالى حاكياً مناداة هارون عليه السلام : ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف:١٥٠].

والموقف يصور موسى عليه السلام غاضباً لدين الله، لائماً أخاه على تقصيره في دعوة بني إسرائيل ، "فأخذ بشعره بيمينه ولحيته بشماله يجره إليه غضباً"[٢] . "ولم يقصد موسى بهذا الأخذ إهانته والاستخفاف به، بل اللوم الفعلي على التقصير المظنون بحكم الرياسة وفرط الحمية"[٣].

أما المشهد الثاني، فهو يصور أصناف العذاب التي يذوقها المجرم يوم القيامة. قال تعالى مخاطباً ملائكة العذاب: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [الدخان:٤٧-٤٨].

وقال سبحانه: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ [الحج:١٩-٢٠].

"فقوده بعنف وغلظة وهو أن يؤخذ بتلبيب[٤] الرجل فيجر إلى حبس أو قتل"[٥]. " والملك يضربه بمقمعة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الحميم على رأسه فينزل في بدنه فيسلت[١] ما

---

[١] انظر تفصيل المشهد ص ٨٧.
[٢] الجمل ، الفتوحات الإلهية ١١٦/٣.
[٣] الآلوسي، روح المعاني ٩٢/٩.
[٤] أخذ بتلبيبه : جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة، ثم قبضه وجره. (ابن منظور ، لسان العرب ٢١٨/١٢).
[٥] الزمخشري، الكشاف ٢٧٤/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في بطنه من أمعائه حتى تمرق من كعبيه"[٢]. وابتدأ بالرأس لأنه موطن العقل الذي عطلوه، وليعم العذاب سائر البدن الذي خضع لهذا العقل الكافر، جزاءً وفاقاً.

وهي رسالة تحذير وردع لمن عطل عقله وجوارحه عن آيات الله القرآنية والكونية.

المبحث الخامس: حركة العنق

يعد العنق الجزء الحامل للرأس، ويؤثر في حركته. وترتسم بهذه الحركة معان عديدة، ذكر القرآن بعضها:

١. الذهول:

قال تعالى في شأن الكافرين : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء:٤].

"أي ظلت أعناقهم ملوية محنية حتى لكأن هذه الهيئة لهم لا تفارقهم فهم عليها مقيمون"[٣]. وخضوع العنق والرقبة علامة الذل والانقياد. أما سببه "فقد يكون خوف الهلاك في مخالفة الأمر، أو تكون الآية واضحة بحيث يقع الإذعان لها وانقياد النفوس"[٤].

ولعل سر نسبة الخضوع إلى العنق مع أن الرأس والجسم كله خاضع، ليبين أن خضوعهم غير إرادي، فالعنق قد تشنج[٥] ذاهلاً فلا عضو يستطيع الحراك بعد ذلك، كمن يصاب بالتواء في عنقه فلا يستطيع حراك رأسه.

٢. البخل:

زينة الأعناق تعكس معاني عديدة ولكن طوق العنق يوم القيامة لا يعكس إلا شعار البخل ووسمه.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾ [آل عمران:١٨٠].

" أي سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة طوقاً في أعناقهم كهيئة الأطواق المعروفة"[١]. أخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: "من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثِّل له يوم القيامة

---

[١] هو فصل الشيء عن الشيء وقشره. (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٩٢/٣).

[٢] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٤٨/٤.

[٣] قطب، في ظلال القرآن ٢٥٨٤/٥.

[٤] انظر ، ابن عطية، المحرر الوجيز ٨٨/١١-٩٠.

[٥] التشنج: تقبض الجلد والأصابع وغيرهما. (ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم ٢٤٨/٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شجاعاً أقرع، له زبيبتان[٢] يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه[٣]. ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا الآية"[٤].

٣. الإهانة والتحقير:

ربط الأسير بالقيد إهانة وذلة، تتضاعف هذه الإهانة إذا كان الربط في العنق، وإذا كان القيد غلاً.

قال تعالى : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [الرعد:٥].

وقال سبحانه : ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر:٧١].

وقال سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ:٣٣].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾ [يس:٨].

"والغل: ما يكون في الرقبة من حديد"[٥] على معنى التعنيف والتضييق والتعذيب والأسر[٦]. وهي رسالة ذلة وهوان لكل من يستكبر في هذه الحياة الدنيا عن سماع الإيمان[٧].

---

[١] الطبري، جامع البيان ٢٣٨/٤.

[٢] هما الزبدتان اللتان في الشدقين، وقيل هما النكتتان السوداوان فوق عينيه. ابن حجر، فتح الباري، ٣٤١/٣.

[٣] اللِّهزمتان: مُضيغتان في أصل الحنك، والمقصود هنا شدقيه. (انظر ابن منظور ، لسان العرب ٣٤٣/١٢).

[٤] البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، ح (١٤٠٣).

[٥] الشوكاني، فتح القدير ٤٣٤/٤.

[٦] أبو حيان ، البحر المحيط ٥٠/٩.

[٧] انظر تفصيل المشهد ص ٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث السادس: السمع

تتضح رسالة السمع بإيماءات الوجه حالة الاستماع، وفي مقدار الاستجابة للرسالة المسموعة. وقد سجل القرآن لذلك عدة معان:

١. الاحترام والتعظيم:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

والاستماع والإصغاء رسالتان تعكسان حقيقة إيمان صاحبهما ومدى أدبه وتعظيمه للقرآن[١].

٢. الإهمال:

قال تعالى في شأن المعرضين عن هداية القرآن، محذراً المؤمنين من فعلهم: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال:٢١].

"فهم يسمعون بآذانهم، وقلوبهم لاهية فلا يعقلون ولا يتدبرون"[٢]. فسماعهم سماع لاعب لاه، وهي رسالة الإهمال والصد عن الهدى.

٣. الذم:

قد يكون الإصغاء صفة مدح، ولكن قد يُعاب الرجل في إكثاره السماع خاصة وإن كان ذلك يورثه خضوعاً لكل ما يقال ، فيُصبح عديم الرأي إمّعة. وهذه تهمة وجهها المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصدوه عن حسن إصغائه لمدعوّه أدباً واحتراماً له.

قال تعالى حاكياً قول المشركين: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ ﴾ [التوبة:٦١]

"أي يسمع كل ما يقال له ويصدقه حتى أصبح كله أذناً مبالغة في فرط سماعه"[٣]. وهي رسالة ذم يتهمون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتولى الله سبحانه الرد عليهم "بل أذن خير لكم" مادحاً إيماءات نبيه السمعية بالإصغاء لمدعوه تأدباً واحتراماً.

٤. الترفع عن القبيح:

---

[١] انظر تفصيل المشهد ص ١٢٨.

[٢] الطبري ، جامع البيان ٢٤٨/٩.

[٣] البيضاوي، أنوار التنزيل ٨٦/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد يكون الإصغاء مذموماً خاصة إذا كان ما يُسمع لغواً. وقد امتدح الله المؤمنين الذين يُعرضون عن سماع اللغو لتكون رسالة ترفع عنه.

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٥].

وقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر:١٨] [١].

المبحث السابع: حركة الأرجل

لم يقف القرآن عند إيماءات الوجه، والنظر، والسمع، بل تعداه للأرجل، فالتقط صوراً لحركة الأرجل تعكس معاني مختلفة:

١. الحياء:

قال تعالى واصفاً المرأة العفيفة التي قدمت تطلب من موسى عليه السلام أن يلبي دعوة أبيها: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص:٢٥].

وترتسم هذه المشية معلنة رسالة العفة والطهارة والحياء[٢].

٢. الوقار:

وإذا كان الحياء في مشية النساء زينة، فكذلك الوقار في مشية الرجال.

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣].

وقال سبحانه حاكياً وصية لقمان: ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ [لقمان:١٩].

"والهون : هو المشي المعتدل الناشئ عن التواضع والتخلق بآداب النفس العالية"[١]. "والقصد: المشي معتدلاً ليس بالبطيء المتثبط ولا بالسريع المفرط"[٢]. وهي رسالة التواضع والثقة الناشئة عن سمو منهجه.

---

[١] انظر تفصيل الإيماءة ص ١٢٧.

[٢] انظر تفصيل المشهد ص ١١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. التعظيم:

يعد النعل واقياً للقدم من الضر الذي قد يلحقها، وقد يكون خلعه تأدباً واحتراماً لمكان معين. ولكنه في القرآن تقديس لبقعة كان فيها النداء الإلهي تبركاً بمباشرة المكان بقدميه.

قال تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ [طه:١٢]

قال الزمخشري: "والقرآن يدل على أن ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها"[٣]. وبعد أن ذكر الطبري أسباباً لهذا الخلع قال[٤]: "وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي إذ كان وادياً مقدساً".

٤. الكِبر:

وإذا كان الوقار زينة الرجال ورسالة التواضع من خلال حركة الأقدام، فإن التبختر مشية الكبر والتعالي على الخلق.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾ [الإسراء:٣٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾ [لقمان:١٨] .

والتبختر منهي عنه لأنه رسالة تورث البغضاء والصد[٥].

٥. الهرب:

الهرب غالباً ما يحدث عند الشعور بالخوف، ولكنه قد يحمل معنى الذم إذا كان هروباً من قيام بواجب أو وفاء بعهد.

قال تعالى مصوراً حال الشيطان المتجسد بصورة بشر في غزوة بدر[٦] بعد إعطائه عهد وفاء لأوليائه في نصرتهم: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٤٨].

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير ٦٨/١٩.

[٢] المراغي، تفسير المراغي ٣١٠/٧. انظر تفصيل المشهد ص ١٣٤.

[٣] الزمخشري، الكشاف ٥٣/٣.

[٤] الطبري، جامع البيان ١٦٨/١٦.

[٥] انظر تفصيل رسالة الكبر ص١٣٥. والتبختر المنهي عنه قد أذن به في حالة الحرب كتبختر أبي دجانة يوم أحد . انظر ابن هشام، السيرة النبوية ٣٤/٣.

[٦] تجسد بصورة سراقة بن مالك بن جعشم. (ابن هشام، السيرة النبوية ٢٣١/٢).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"أي رجع القهقرى على قفاه هارباً"[١]. وهي صورة معبرة عن حالة الجبن والخور، إذ يتراجع على عقبيه متسللاً دون أن يراه أحد، مستقبلاً أرض المعركة بوجهه وهو يتراجع حتى يضمن سلامة هربه واندحار الأنظار عنه. وأقبح بها من رسالة جبن وخيانة يرسلها الشيطان لأوليائه.

٦. القصد لحاجة مهمة:

قد يقصدك إنسان في حاجة أو يريد إبلاغك خبراً وهو ماشٍ، ولكن سعيه إليك يدل على عظم حاجته وأهمية خبره.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [القصص:٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس:٢٠] [٢].

فقدوم هذا الرجل يعجل في خطوه[٣]، يحمل رسالة اللهفة في طلب ما يريد.

٧. الإثارة:

الإثارة لا تكون بالكلمة والإشارة فحسب، بل للمشية أكبر الأثر في دب الفساد ونشر الفتنة، خاصة تلك المشية التي ترسم الخنوع والإثارة والتي ترسلها المرأة رسالة إغواء للناظر إليها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور:٣١].

" فصوت ضرب الخلخال في الأرض أشد تحريكاً للشهوة من إبداء الزينة"[٤]، لأن الخيال يذهب وراءها أيما مذهب.

---

[١] البيضاوي، أنوار التنزيل ٦٢/٣.

[٢] ولعل سائلاً يسأل عن سر تقديم قوله "من أقصى المدينة" على "رجل" الذي هو الفاعل في سورة يس وتأخيره في سورة القصص؟ وقد أجاب الإسكافي على ذلك فقال: " إن الفاعل في الموضعين لما كان نكرة والمعنى جاء جاء ، وقد دل الفعل على جاء. ولا يكون الجائي من أقصى المدينة في الأعم الأغلب إلا رجلاً، وكان الذي يفاد المخاطب –في آية يس– أن يعرف أنه جاء من مكان بعيد إلى مجتمع الناس في القرية، وحيث لا يقرب من مجاري القصة ولا يحضر موضع الدعوة ومشهد المعجزة. فقدم ما تبكيت القوم به أعظم والتعجب منه أكثر.

وأما الآية الأولى من سورة القصص، فإن المراد جاء من لا يعرفه موسى من مكان لم يكن مجاوراً لمكانه، فأعلمه ما فيه الكفار من ائتمارهم به، فاستوى حكم الفاعل والمكان الذي جاء منه، فقدم ما أصله التقديم وهو الفاعل،إذ لم يكن هنا تبكيت للقوم بكونه من أقصى المدينة كما كان ذلك في الآية المتقدمة –آية يس–. انظر الإسكافي، درة التنزيل ص٢١٩.

وقال الهاشمي: تقدم الظرف على الفاعل لأنه لو أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل، وهو خلاف الواقع لأنه صلة لفعله (الهاشمي، جواهر الأدب، ص١٩١).

[٣] الطبري، جامع البيان ٦٢/٢٠.

[٤] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ٤٩٤/١٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثامن : حركة اليد والأصابع

أولاً: تعد اليد الوسيلة الأكبر للتعبير عن المعاني، توضيحاً أو تأكيداً. وقد صور القرآن عدة لقطات لليد تشير إلى معان عديدة:

١. القوة:

قال تعالى حاكياً قصة قتل موسى عليه السلام للقبطي خطأً: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

"والوكز: الطعن والدفع والضرب بجميع الكف"[١]، وقيل: الدفع بأطراف الأصابع"[٢]. "والمفهوم من التعبير أنها وكزة واحدة كان فيها حتف القبطي، مما يشي بقوة موسى وفتوته"[٣].

٢. الحسرة:

قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف تصور حال الإنسان إذا أعطي ففجر ونسي أن العطاء بيد الله. فإذا جازاه الله من جنس صنيعه فحرمه ما أعطاه لكفره به ، أظهر تحسره وندمه على تفريطه.. ليس قولاً باللسان فحسب، بل تعداه إلى الجوارح.

قال تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٢].

"فأصبح هذا الكافر يقلب كفيه ظهراً لبطن"[٤]، وكذلك فعل المتلهف المتأسف على فائت أو خسارة أو نحوهما"[٥]. فهي رسالة ندم وتحسر تنطق واعظة لكل جاحد.

٣. الذهول :

مشهد النساء في قصر امرأة العزيز يوحي بحالة الرخاء المعنوي والمادي، متجسداً بالاتكاء و الضيافة ... لم تكن دعوة محبة ... بل تدبيراً لتريهم الرجل الذي فتنت به ... فبينما هم رافعون ضيافتهم ليقطعوها بالسكين دخل يوسف عليه السلام .

---

[١] الراغب، المفردات ص٦٠٤، وانظر ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١٣٩/٦.

[٢] الزمخشري، الكشاف ٣٨٥/٣.

[٣] قطب، في ظلال القرآن ٢٦٨٢/٥.

[٤] الطبري، جامع البيان ٢٨٩/١٥.

[٥] ابن عطية ، المحرر الوجيز ٣١٦/٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف:٣١].

" وقد أجرين السكاكين يحسبن أنهن يقطعن الفواكه ، وأريد بالقطع الجرح للمبالغة في شدته حتى كأنه قطع قطعة من لحم اليد "[١].

٤.البخل والإسراف :

رسم القرآن صورة البخيل مقبوضة يده تارة، ومغلولة إلى عنقه أخرى لتكون سيما يعرف بها أينما حل . كما يرسم صورة المسرف ويده مبسوطة لا تمسك شيئاً.

قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ ﴾ [التوبة:٦٧]

قال البيضاوي[٢] وهي كناية عن الشح .

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩].

فالمشهد يرسم البخل يداً مغلولة إلى العنق والإسراف يداً مبسوطة لا تمسك شيئاً، ليكون رسالة لكل بخيل ومسرف تذكره بعاقبته.

٥. الطرح وعدم المبالاة :

رمي الشيء وطرحه يدل على إهماله وعدم الاهتمام به ، ويزداد إهماله إذا كان الطرح وراء الظهر ففيه دلالة على عدم النظر إليه والعود عليه . وهذا ما فعله أهل الكتاب في كتبهم. قال تعالى في شأن أهل الكتاب: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠١]، وقال تعالى: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٨٧] [٣] .

٦. الردع والزجر :

---

[١] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ٢٦٣/١٢، انظر تفصيل المشهد ص ١٠٣.

[٢] البيضاوي ، أنوار التنزيل ٨٨/٣.

[٣] انظر تفصيل المشهد ص ١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كيف سيكون شعور المرء وهو يرى يداً تقطع لتعديها على حقوق العباد ؟! هـذا مـا تفيده عقوبة قطع يد السارق.

قال تعـالى: ﴿ وَٱلسَّـارِقُ وَٱلسَّـارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَـهُمَا جَزَآءًۢ بِـمَا كَسَبَا نَـكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٣٨] [١].

٧. طقوس عبادة :

عنوان عجيب لعبادة أعجب تلك التي كانت تمارسها قريش وهي تطوف بالبيت. عري مع مكاء وتصدية .

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَـةً ﴾ [الأنفال:٣٥]

"والمكاء : الصفير والتصدية : التصفيق وهو ضرب اليد بحيث يسمع له صوت"[٢]. وهـي صورة تعكس مدى سفاهة عقول وسذاجة تفكير فاعليها، فأي خشية يمكن أن تعتري هذا الذي يتوجه إلى إلهه بمثل هذه الأفعال.

٨. العطش :

مألوف في الأنظار حركة اليد ممدودة تطلب إيصال الماء إلى الفـم، وقـد صـورها القرآن الكريم لا وقوفاً عند حركة الشرب، بل ليصور مشهداً أعمق في بطـلان نفـع الآلهـة وضرها. قـال تعـالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَـٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ [الرعد:١٤] [٣].

ثانياً: الأصابع فهي ترسم إيماءاتها في إيصال المعاني:

١. الخوف:

بديعة هي الصورة التي يجسدها القرآن لحال أولئك المترددين الحائرين في قبول الحق.

---

[١] فصلت هذا المشهد وآثاره ص ١١٠.

[٢] رضا ، المنار ٩/ ٥٤٩

[٣] انظر تفصيل الرسالة ص١٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:١٩].

"وإطلاق الأصابع من باب المجاز"[١]، "أي رؤوس الأصابع وهي الأنامل، عبر بالكل عن الجزء مبالغة"[٢]. يقول صاحب المنار[٣]: "وعبر عن الأنامل بالأصابع هذا التعبير المجازي اللطيف للإشعار بشدة عنايتهم بسد آذانهم ومبالغتهم في إدخال أناملهم في صماليخها. كأن كل واحد منهم يحاول بما دهمه من الخوف أن يغرس إصبعه كلها في أذنه حتى لا يكون للصوت منفذ إلى سمعه لما يحذره على نفسه من الموت الزؤام ومعالجة الحمام. وهذا هو الجبن الخالع ومنتهى حدود الحماقة". وهي ذات الحركة التي فعلها قوم نوح مع نبيهم قال تعالى: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ﴾ [نوح:٧]، تعبيراً عن عدم رغبتهم في السماع خوف التأثر بمحاسن الكلام ومآثر البيان.

٢. الغيظ:

الشعور بالغيظ يولد ضغطاً نفسياً يفيض على الوجه والجوارح. إلا أن فيضه يتجلى بصورة يلتقطها القرآن لأولئك الحاقدين على المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ ﴾ [آل عمران:١١٩].

وهي رسالة المغتاظ والنادم[٤]، بل هي رسالة المتأسف المتحسر حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلاً[٥].

"وسر اغتياظهم ما يرونه من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم"[٦].

المبحث التاسع: الصوت (قرائن اللفظ)

وهي ما يقرن اللفظ المنطوق من نبرة كحدة الصوت أو انخفاضه أو رفعه، استدلالاً على المعنى المراد. وقد اهتم القرآن بهذه اللغة وسجل لها معان عديدة.

---

[١] الزحيلي، التفسير المنير ٩٠/١

[٢] الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه ٤٦/١.

[٣] رضا، المنار ١٤٨/١.

[٤] الزمخشري، الكشاف ٣٩٩/١.

[٥] البيضاوي ، أنوار التنزيل ٣٥/٢.

[٦] الطبري، جامع البيان ١١٩/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

١. الأدب:

الصوت المخفوض له دلالات عديدة، إلا أنه في الوضع الطبيعي يعكس الثقة في النفس والأدب الرفيع للمتكلم. "وهو أوقر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه"[١].

قال تعالى حاكياً وصية لقمان لابنه: ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ [لقمان:١٩].

٢. الإزعاج:

ولما كان الصوت المخفوض يحمل دلالة الأدب، فإن رفع الصوت في غير موضعه يشير إلى قلة الأدب. ولذا نهى الله سبحانه المؤمنين عن رفع أصواتهم وخاصة في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الفضل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢].

ووصف رافعي أصواتهم في نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم لا يعقلون. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الحجرات:٤].

وشبه الصوت العالي بصوت الحمار، "الذي هو مثل في الذم البليغ والشتيمة، وكذلك نهاقه"[٢].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان:١٩].

٣. الضجر:

نبرة التأفف الموحية بالضجر التي نهى الله أن يصدرها الولد لوالديه تعد مثالاً لما صغر وكبر من قول أو فعل يوجه لأهل الفضل وخاصة الوالدين[٣].

قال تعالى: ﴿ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴾ [الإسراء:٢٣].

ويعد رفع الصوت أو مصاحبته نبرة الضجر رسالة الإهانة وسوء الأدب وكفران المعروف.

---

[١] المراغي، تفسير المراغي ٣١٠/٧. انظر تفصيل الرسالة ص١٣٤.

[٢] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٦٧/٧.

[٣] انظر ابن عاشور، المحرر الوجيز ٥٦/٩. انظر ص ١٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. الإثارة:

نبرة الصوت أكبر الأسباب إثارة إذا كانت صادرة عن امرأة خنوع.

قال تعالى ناهياً زوجات النبي، قدوة المجتمعات أن يقاربن هذه النبرة: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب:٣٢].

ولا يخفى على القارئ الكريم أن الآية وإن خوطب بها زوجات النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المعنيّ بها نساء المجتمع، إذ أمهات المؤمنين منزهات عن مقاربة مثل هذه الأفعال التي تمثل رسالة الخضوع واللين في القول على سنن المربيات المومسات[١].

٥. الكذب:

النفاق داء عظيم يُبطن فيه الكفر ويُظهر الإيمان. ولكن البصيرة المنيرة والدُّربة المتينة تمكنك من كشف الكذب من القول.

قال تعالى مخاطباً نبيه في شأن المنافقين: ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد:٣٠].

يقول سيد[٢]: "إن لهجتهم ونبرات أصواتهم وإمالتهم للقول عن استقامته وانحراف منطقهم في خطابك سيدلك على نفاقهم".

٦. الألم:

الصراخ رسالة الألم أو الغضب. ولكن في مشهد العذاب يوم القيامة في النار لا يكون إلا مفصحاً عن معنى الألم ، والألم العظيم!!.

قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ ﴾ [فاطر:٣٧].

فهو ليس صراخاً ولكنه اصطراخ.. اصطرخ يحمل الجهد والشدة[٣]، الشدة غير المطاقة ولا يحمل إلا رسالة النكال والعذاب الشديد.

---

[١] أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ٢٢٤/٥فصلت هذه النبرة وآثارها ص ١٣٣.

[٢] قطب، في ظلال القرآن ٣٢٩٨/٦.

[٣] انظر الزمخشري، الكشاف ٥٩٧/٣. فصلت المشهد ص ٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٧. الخشوع:

نبرة الصوت التي تعكس أثر الخشوع ترسم الزينة في مشهد خضوع الجوارح واستسلامها لبارئها.

قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:١١٠].

"والصلاة هنا العبادة المشهودة، وعنى بها التلاوة. وقيل الصلاة: الدعاء"[١]. فنبرة الصوت في التلاوة والدعاء رسالة الأدب والخشوع[٢].

٨. الخوف :

للخوف مظاهر وإيماءات كثيرة ، وللصوت ونبرته نصيب فيها . فالهمس والتخافت والصمت مظاهر عديدة لمواقف الهول يوم القيامة صور القرآن مشاهدها .

قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه:١٠٨]

" أى خضعت الأصوات بالسكون لعظمة الرحمن "[٣]

وقال سبحانه : ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ [طه:١٠٣]

" أي يخفضون أصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول "[٤]

وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ:٣٨]

وقال : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود:١٠٥]

وذلك يوم تقوم الأرواح في أجسادها إثر البعث والجمع للحساب فلا يتكلم أحد هيبة وفزعاً[٥]. فالصمت في موطن والهمس والتخافت في موطن أخر يوم القيامة –إذ أن ذلك اليوم مواقف ومشاهد – كلها تحمل رسالة الخوف والفزع.

---

[١] الطبري ، جامع البيان ٢١٠/١٥، وانظر ابن عطية ،المحرر الوجيز ٢٢١/٩.

[٢] ذكر بعض المفسرين سبب نزول الآية : أن رسول الله كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به. فقال الله لنبيه : ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها. اهـ الطبري، جامع البيان ٢١٢/١٥.

قلت : العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب، وما ذكرته في تفسير الآية أولى بالسياق، والله أعلم.

[٣] الطبري ، جامع البيان ٤٦/٧

[٤] البيضاوي ، أنوار التنزيل ٣٨/٥

[٥] انظر ابن عطية ، المحرر الوجيز ٢٩٥/١٥. انظر تفصيله ص٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٩. التلعثم:

التلعثم في الكلام يدل على خوف أو علة حركة في اللسان. وقد سجل القرآن مشهداً تصويرياً لنبي الله موسى عليه السلام لما جاءه الأمر الإلهي بالذهاب إلى فرعون. فطلب أن يكون معه أخوه هارون وزيراً. قال تعالى حاكياً قول موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ [الشعراء:١٢-١٣].

يقول الزمخشري[١]: "قد علق الخوف بتكذيبهم، وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر. والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به" ، فقول الزمخشري " زائدة على ما كان به" إشارة إلى العجمة التي كانت عند موسى عليه السلام، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ [طه:٢٧-٢٨].

١٠. السرية:

إذا كان الهمس يوحي بالخوف في موطن، فهو في موطن آخر يوحي بالسرية وإخفاء خبر ما. قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾ [التحريم:٣].

"فالسر: إخفاء الشيء وهو خلاف الإعلان"[٢].

---

[١] الزمخشري، الكشاف ٢٩٤/٣.

[٢] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٦٧/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث العاشر : هيئات عامة

صور القرآن الكريم مشاهد عديدة كانت فيها إيماءة عين أو حركة رأس أو إشارة يد رسالة تشخص معنى. ولكن هناك مشاهد اشترك فيها أكثر من عضو بحركة أو إيماءة لتجسد صفات تعبر عن حالة النفس خوفاً، كسلاً، ... ، وردعاً. وسأذكرها فيما يلي:

المطلب الأول : صفة الخوف

عدة هيئات صورها القرآن تبعث معاني الخوف:

١. الجثو على الركب:

في مشهد الحشر.. الملائكة صافة.. وجهنم مزلفة.. والقلوب واجفة.. منتظرة سماع نداء لها لتقوم واقفة للحساب بين يدي ربها.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية:٢٨].

"أي مستوفزة باركة على ركبها من هول ذلك اليوم"[١].

وصنف آخر يحضر حول جهنم تهيئة لصليّ النار. قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم:٦٨].

٢. ذهول المرضع عن رضيعها ووضع الحامل حملها:

صورة بالغة التأثير تلك التي يلتقطها النص القرآني ليضع مشهد زلزلة الساعة ماثلاً بين يديك.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج:٢].

وهي لقطة مفزعة توحي بعظم الهول يوم القيامة، بما يصدر من رسائل معبرة تصورها لغة الجسم[٢].

---

[١] الطبري، جامع البيان ١٨٠/٢٥. انظر تفصيله ص ٩١.

[٢] انظر تفصيل المشهد ص٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. ضيق النفس[١]:

وأبلغ المشاهد أفظعها وأهولها.. فلم يفصل المجرمين عن النار إلا لحظات.. "فالقلوب مرتفعة عن مقارها تكاد تلتصق بالحناجر، والصدور تصدر أصوات دقات القلب كالطبول. فلا القلوب تخرج فيموتوا ولا ترجع إلى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا"[٢].

قال تعالى حاكياً قول مؤمن آل فرعون[٣]: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ ﴾ [غافر:١٨].

"فهم كاظمون لأنفاسهم ولمخاوفهم. والكظم يكربهم ويثقل على صدورهم"[٤].

ولازم هذا المشهد شخوص البصر، وإقناع الرأس، وغيرها من علامات الخوف.

٤. الازدحام المضطرب:

اضطراب الناس واختلاطهم ببعضهم ذهاباً وإياباً لحدث مهول.. الكل يفر هرباً منه.. يلتمس الخلاص في كل مكان فلا يجد.

قال تعالى: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ [الكهف:٩٩]. وهذا المشهد يوم القيامة، إذ يختلط الناس في موقف الحشر بحثاً عن الخلاص، فيدخل بعضهم في بعض كموج الماء[٥]، فيكون الخوف لباسهم. قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [غافر:٣٣].

واستعارة الموج للاختلاط ترخي ظلال الاضطراب المذكور[٦].

٤.التولي والإدبار:

رسم القرآن عدة لقطات للتولي والإدبار تجسد حالة الخوف التي اعترت أصحابها. فالموقف الأول تولي بعض المؤمنين يوم أحد عن رسول الله لما التف خالد بن الوليد عليهم ووقعوا بين فكي مقص.

---

[١] ضيق النفس ناتج عن خفقان القلب والخفقان : تغير يطرأ على ضربات القلب ونشعر به سواء كان زيادة أو نقصاناً. وفي حالات الخوف يزداد معدل دقات القلب وقوة ضرباته وكمية الدم التي يضخها نتيجة للاستثارة السيمبثاوية (مجموعة من أعصاب النخاع الشوكي). انظر علي، علم النفس الفسيولوجي ص٢٣٩.

[٢] انظر الزمخشري، الكشاف ١٥٣/٤ .

[٣] ذكر القرآن الكريم قصة مؤمن آل فرعون في سورة غافر وهي تحكي محاجته ناصحاً لقومه وداعياً للإيمان والنجاء.

[٤] قطب، في ظلال القرآن ٣٠٧٤/٥.

[٥] انظر البغوي، معالم التنزيل ٢٢٠/٣.

[٦] وهي استعارة تصريحية: شبه اختلاطهم بالموج بجامع الاضطراب ثم حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحيه . انظر أبو حمدة ، البهيج ص٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى: ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ [آل عمران:١٥٣].

"والإصعاد: الأخذ في مستوى الأرض والهبوط"[١]، أي أذهبتم وأبعدتم في الأرض منهزمين. "وهو غير الصعود الذي هو الذهاب في المرتفعات كالجبال. ولا تلوون: أي لا تعطفون على أحد بنجدة ولا مدافعة ولا تلتفتون إلى من وراءكم لشدة الدهشة التي عرتكم والذعر الذي فاجأكم"[٢].

وينهى أن يولي المجاهدون أدبارهم هروباً في ساحة القتال. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ [الأنفال:١٥].

لأن الهروب يحمل رسالة الخوف والفزع وحب الدنيا والحرص على الحياة.

والمشهد الثاني يصور خوف موسى عليه السلام لما فاجأته عصاه فتحولت حية تسعى بإذن الله. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [النمل:١٠].

"فلم يرجع ولم يمكث ولم يلتفت. يقال: عقب الرجل، إذا توجه إلى شيء كان ولى عنه كأنه انصرف على عقبيه"[٣].

يقول سيد: "وأخذت موسى عليه السلام هزة المفاجأة التي لم تخطر له ببال، وجرى بعيداً عن الحية دون أن يفكر في الرجوع"[٤].

٥. التزمل والتدثر:

قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل:١]، ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ [المدثر:١].

"والمدثر: أصله المتدثر فأدغم، وهو المتدرع دثاره"[٥]، "والتزمل: التلفف بالثياب"[٦].

---

[١] الطبري، جامع البيان ١٦٨/٢.

[٢] رضا، المنار ١٥١/٤.

[٣] أبو حيان، البحر المحيط ٥٥/٧.

[٤] قطب، في ظلال القرآن٢٦٢٩/٥.

[٥] الراغب، المفردات ١٨٦.

[٦] الزجاج، معاني القرآن ٢٣٩/٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخرج مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، فلم أر أحداً، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحداً. ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء -يعني جبريل عليه السلام-، فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت دثروني، فدثروني فصبوا علي ماءً، فأنزل الله : "يا أيها المدثر"[١].

والفائدة من خطابه بهذا الاسم ملاطفته صلى الله عليه وسلم، فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة، سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها[٢].

والمشهد يعكس حالة الخوف التي اعترت نبينا صلى الله عليه وسلم عندما فجأه الوحي إعلاناً لنبوته ورسالته.

المطلب الثاني : صفة الكِبر

لا يقتصر داء الكبر على لي رأس، وتصعير خد، بل يتفشى في سائر الجسم ليكون رسم الإنسان ووصفه. وقد التقط القرآن عدة صور لفئات تفشى فيها داء الكبر:

فالمشهد الأول يرسم طبيعة الإنسان المجرد عن الإيمان. قال تعالى : ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴾ [الإسراء:٨٣].

وقال : ﴿ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴾ [فصلت:٥١].

"فالنأي : البعد، فهو يتضرع ويدعو عند الشدة فإذا رفعت وحلت النعمة أعرض"[٣]. "ونأي الجانب تأكيد للإعراض، لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه، والنأي بالجانب أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره"[٤]، "ليذهب بنفسه متكبراً متعظماً"[٥].

والمشهد الثاني مشهد المخاصم في الله بغير علم.

قال تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ [الحج:٩].

---

[١] مسلم، صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بدء الوحي ح (٢٥٧).اقتصرت على ذكر سبب التدثر لأن الهيئة واحدة والظرف متشابه.

[٢] انظر ابن الحنبلي، اللباب ٤٥١/١٩.

[٣] ابن الحنبلي، اللباب ٣٧٠/١٢ بتصرف.

[٤] الزمخشري، الكشاف ٦٦٢/٢.

[٥] المرجع السابق ٢٠٠/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"فهو من كبره إذا دعي إلى الله أعرض عن داعيه ولوى عنقه فلم يسمع ما يقال له استكباراً"[٢].

واللقطة الثالثة لذلك المستكبر عند سماع القرآن:

قال تعالى: ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الجاثية:٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [لقمان:٧].

"وهذا شغل المتكبر الذي لا يلتفت إلى الكلام ويجعل نفسه كأنها غافلة"[٣]. "وهو مشهد فيه حركة ترسم هيئة المستكبر المعرض المستهين"[٤].

المطلب الثالث: الكسل

ما أبلغ الصورة وما أعمق أثرها تلك التي رسمها القرآن لحال المنافقين إذا قاموا إلى الصلاة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء:١٤٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة:٥٤].

"فيقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئاً من كره، لا عن طيبة نفس ورغبة"[٥]. فوجوههم مقترة عابسة، وأرجلهم لا تكاد تحملهم تثاقلاً، وأنفاسهم تتأفف ضجراً، وصدورهم منقبضة كرهاً، "لأن الباعث عليها لا ينبثق من أعماق الضمير، إنما يدفعون إليها دفعاً فيحسون أنهم عليها مسخرون"[٦].

---

[١] العطف: الانثناء، ويقال للجانبين العِطفان، لأن الإنسان يميل عليهما، وثنى عطفه : أعرض عنك وجفاك. (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٣٥١/٤.

[٢] الطبري، جامع البيان ١٤٢/١٧.

[٣] الرازي ، التفسير الكبير ١١٦/٩.

[٤] قطب، في ظلال القرآن ٢٧٨٥/٥.

[٥] الزمخشري، الكشاف ٥٦٧/١.

[٦] قطب، في ظلال القرآن ١٦٦/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الرابع : الاستخفاء

الاستخفاء يكون من خوف أو مكر أو كره أو حياء...، وقد سجل القرآن مشاهد كانت فيها لغة الجسم رسالة تجسد معنى من المعاني السابقة.

اللقطة الأولى: قال تعالى في حال المنـــافقين: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [النساء:١٠٨].

"فهؤلاء الخوانون الراسخون في الإثم يستترون من الناس عند ارتكاب خيـــانتهم واجتـــراحهم الإثم لأنهم يخافون ضررهم"[١]، بل حياء منهم على ما يُظهرون أمامهم من مخالفة لما يبطنون. فاستخفاؤهم رسالة خوف من بطش، وحياء من عتاب.

اللقطة الثانية: لقطة المشركين يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام الله، "فيثنون صدورهم ويطأطئون رؤوسهم استخفاء من الله الذي كانوا يحسون في أعماق قلوبهم أنه قائل هذا الكلام، وذلك كما ظهر في بعض الأحيان"[٢]. ولعل "استخفاءهم جهل منهم بالله وظـــن أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم إذا فعلوا ذلك"[٣]. أو كراهية للاستماع إلـــى كـــلام الله، ويؤيد هذا "استغشاؤهم ثيابهم، كقول نوح عليه السلام: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح:٧][٤]. فيكون الاستخفاء هنا رسالة استخفاف بمقام الله سبحانه.

اللقطة الثالثة: تلك اللقطة البديعة التي تصور حال الطامعين أصحاب الجنة وهم يستخفون ليلاً ليقطعوا ثمار جنتهم ويمنعوا منها الفقراء.

قـــال تعـــالى: ﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ [القلم:٢٣-٢٤].

"يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم فيقصدوهم وقت الحصاد وهم يتخافتون همساً بيـــنهم لئلا يعلم أحد بهم"[٥].

وهي لقطة ساخرة تكشف سوء نيتهم وقصدهم وحرصهم على متاع الدنيا وطمعهم.

---

[١] رضا، المنار ١٢١/٥.

[٢] قطب، في ظلال القرآن ١٨٥٥/٤.

[٣] الطبري، جامع البيان ٢١١/١١.

[٤] الزمخشري، الكشاف ٣٦٥/٢.

[٥] الشوكاني، فتح القدير ٣٦١/٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الخامس :الزجر

العقوبات زواجر لأصحابها ولمشاهدها وسامعها. وقد جسد القرآن زواجر عديدة لعبت لغة الجسم دورها الأكمل فيها. منها ما كان في الدنيا، ومنها ما هو في الآخرة.

ففي الدنيا وضع القرآن عقوبة لبعض الجرائم، تتجسد في العضو المستخدم في تلك الجريمة، لتكون رسالة رادعة لكل نفس مريضة. بينما نلاحظ أن بعض الجرائم استغرقت أغلب الأعضاء لعظمها ومشاركة الأعضاء فيها، فكان عقابها أعم وأشمل.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [المائدة:٣٣].

فهئية العقوبة النازلة بهم أبلغ رسالة تزجر كل من يهم بتلك الجريمة[١].

وأما في الآخرة فتتشارك الأعضاء في النكال لتصبح الهيئة العامة هيئة زجر وردع.

قال تعالى: ﴿ وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام:٣١].

وقال سبحانه: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ [العنكبوت:١٣].

"والوزر يطلق على الإثم والذنب لأن ثقله على النفس كثقل الحمل على الظهر"[٢]. والحمل هنا على الحقيقة إذ صرفه إلى المجاز يحتاج إلى قرينة.

ورسالة أخرى.. رسالة ردع للذين يغلون الغنائم في الحروب.

يقول سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٦١].

---

[١] انظر تفصيل المشهد ص ١١٠.

[٢] رضا، المنار ٣٠٣/٧. انظر تفصيله ص٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فتتشارك هنا الأقدام والظهر والوجه والأعضاء جميعها في رسم هيئة العقاب التي تحمل رسالة الردع والزجر.

ويقول سبحانه مصوراً هيئة آكل الربا يوم خروجه من قبره "كالمصروع الذي يتخبطه الشيطان، أو كالمجنون يُخنق"[١]: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ [البقرة:٢٧٥].

"ويظهر ذلك في حركاتهم في تقلبهم في أعمالهم كما تراه في حركات المولعين بأعمال البورصة والمغرمين بالقمار، يزيد فيهم النشاط والانهماك في أعمالهم حتى يكون خفة تعقبها حركات غير منتظمة. وهذا وجه الشبه بين حركاتهم وتخبط الممسوس"[٢]. وكفى بها رسالة زاجرة كل مراب.

وقد يكون هذا عقاباً على عدم إصغاء سمعه لآيات الله، فكان العقاب من جنس العمل. تقع خلايا الاستقبال -استقبال العصب الحسي- في الأذن الداخلية، وهي غائرة في العظام على شكل دهاليز، يحتوي كل دهليز على نظامين، يعمل أحدهما على التعريف بوضع الرأس خلال أوقات الراحة، بينما يعمل الثاني على التعريف بوضع الرأس أثناء الاستدارة، وفي حالة اضطراب هذا الجزء من الأذن فإن الاتزان الحركي يختل، فتظهر اضطرابات حركية قد تكون هي المقصودة في الآية[٣].

ومشهد أخير ذلك الذي يصور حال الفرد يقف وحيداً للحساب.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٤].

وقال : ﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾ [مريم:٩٥].

فما كان يأنس به في الدنيا يجرد منه يوم القيامة ، "فلا ناصر لهم بعد أن كانوا ذوي حول وشفعاء في الدنيا"[٤]، "بل يأتون منفردين عن الأموال والأولاد وسائر ما آثروه من

---

[١] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣٠٨/١.

[٢] رضا، المنار ٨٠/٣.

[٣] انظر القذافي، علم النفس الفسيولوجي ص١١١.

[٤] أبو حيان، البحر المحيط ٥٨٦/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدنيا، أو عن الأعوان والأوثان التي زعموا أنهم شفعاؤهم"[١]. وهي رسالة زاجرة لكل مؤثر وراغب شيئاً يبعده عن ربه سبحانه ليعلن توبته متجرداً إلى الله من كل شريك.

المطلب السادس : الراحة

لكل جلسة يجلسها الإنسان معنى معين، "فالجلوس مستوياً أو على الجانب الأيمن أو الأيسر متكئاً أو مطوي الجسم أو منكمشاً، تحمل معان عديدة منها: السعادة، الحزن، الضعف، القوة، الصحة، المرض، الاحترام، الاهتمام.." [٢]. ولكن أكثرها راحة وسعادة هيئة الاتكاء إذا رافقتها بيئة جمال واسترخاء وهناء حال. وكل هذه العناصر قد توفرت في الجنة.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾ [يس:٥٥-٥٦].

وقال سبحانه: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن:٥٤].

وقال سبحانه: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن:٧٦].

وقال : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور:٢٠].

وقال: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴾ [الواقعة:١٥-١٦].

وكلها رسائل تفيض راحة وسعادة تحفز النفوس للسعي إليها[٣].

أما في الدنيا ، فقد مر معنا كيف كانت هيئة الاتكاء في قصر امرأة العزيز توحي بالراحة كذلك. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ [يوسف:٣١]

المطلب السابع : الخضوع

رسم القرآن الكريم مشاهد عديدة للخضوع تجسدت في هيئات منها:

١. السجود:

---

[١] البيضاوي، أنوار التنزيل ١٧٣/٢.

[٢] أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ٣٥.

[٣] انظر التفصيل ص ٩٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد ذُكر السجود في مواطن عديدة في القرآن. تارة آمراً به ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الحج:٧٧].

وأخرى مادحاً فاعله، يقول في حق العلماء: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴾ [الإسراء:١٠٧]. وثالثة ذاماً لتاركه : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٣٤].

وهي رسالة خضوع واستسلام خاصة إذا كان السجود مباشرة الجبهة للأرض.

٢. الركوع:

وقد ذكره القرآن آمراً به بني إسرائيل مرة، ومريم عليها السلام أخرى.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة:٤٣].

وقال سبحانه : ﴿ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران:٤٣].

فهو رسالة "الخشوع لله والخضوع له بالطاعة والعبودية"[١].

٣.قشعريرة الجلد:

وهي حالة تجسد تفاعل المؤمن مع القرآن بما يفيض على جلده من مشاعر.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر:٢٣].

" فهي رسالة تحمل معنى الحذر والخشية بل التطلع والرجاء"[٢].

٤. الصلاة:

ليست كل صلاة صلاة.. وليس كل من يصلي خاشعاً.. فالصلاة الخاشعة تعكس حالة الإيمان والاستسلام لله سبحانه.

---

[١] الطبري، جامع البيان ٣/٣١١.

[٢] قطب، في ظلال القرآن ٥/٣٠٤٨ بتصرف. انظر تفصيل الرسالة ص١٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون:١-٢].

وليس هذا فحسب بل في ليلهم رهبان يرسمون روح المناجاة، ويحققون إخلاص العبادة، قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦].

ولما لهذه المناجاة من عظيم لذة وتلألؤ أنوار، أمر الله سبحانه نبيه بها، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩].

فالصلاة بروحها وبهائها رسالة استسلام وصدق مناجاة[١].

المطلب الثامن : القوة

هيئة الجسم كثيراً ما تعبر عن قوة ، فعظم الهيئة واكتمال البنية رمز للقوة وشعار للصلابة.

قال تعالى في شأن طالوت عليه السلام ذاكراً سبب تفضيله واختياره ملكاً : ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ ﴾ [البقرة:٢٤٧].

"والبسطة: السعة والامتداد"[٢]. "فوفور العلم ليتمكن من معرفة الأمور السياسية، وجسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب"[٣]. والجسامة رسالة تحمل معاني الشجاعة وقهر الأعداء والهيبة[٤].

المطلب التاسع : الغباء

مشهد ساخر يصوره القرآن لأولئك المنافقين وهم يجلسون في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [المنافقون:٤].

---

[١] انظر تفصيل المشهد ص١٤٣.

[٢] الزمخشري، الكشاف ٢٨٨/١.

[٣] البيضاوي، أنوار التنزيل ١٥٠/١

[٤] انظر أبو حيان، البحر المحيط ٥٧٤/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول الآلوسي[١]: "شبهوا في جلوسهم مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها وما هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بخشب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحاً خالية عن الفائدة ، لأن الخشبة تكون مسندة إذا لم تكن في بناء أو دعامة لشيء آخر "

المطلب العاشر : الجبن

اليهود قوم جبن ... الخوف دثارهم ... والحرص إزارهم ... يصورهم القرآن في أحلك مواقفهم .. عند اختبار شجاعتهم .

قال تعالى : ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ ﴾ [الحشر:١٤].

فلا يملكون المواجهة وجهاً لوجه ... بل " يأرزون إلى حصونهم فلا يبرزون بالبراري، ويحتمون بالجدر والحيطان والمباني "[٢]

المبحث الحادي عشر : المظهر العام

يزودنا اللباس بمعلومات كثيرة عن شخصية لابسه ، جنسيته ، حالته النفسية وقد ذكر القرآن في مواطن عديدة رسالة اللباس التي تزودنا بصفات عديدة كالنعيم ، والكبر والإغراء ، الوقار ، العذاب.. .

١. النعيم :

يعكس اللباس المستوى المادي الذي ينتمي إليه الشخص ، وحالة النعيم أو الترف . ولكن أي لباس في الدنيا لا يعدل بهجة ونضارة لباس أهل الجنة.

قال تعالى : ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الكهف:٣١].

وقال سبحانه : ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر:٣٣]. وقال سبحانه: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج:٢٣].

---

[١] الآلوسي، روح المعاني ٤٢٤/٢٨.

[٢] أنظر الطبري ، جامع البيان ٥٦/٢٧ وتتجسد هذه الآية في مواجهات المجاهدين في فلسطين مع اليهود ، فلا يقاتلون إلا في دباباتهم أو طائراتهم أو يختبئون وراء جدار ... فإذا ما تواجهوا مع المؤمنين فر كثير منهم وولوا حتى ولو كان من يواجههم طفلاً مؤمناً مسلحاً بحجارة وهم مدججون بسلاح وذخيرة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقول سبحانه : ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴾ [الدخان:٥٣].

فثيابهم خضراء من حرير، وزينتهم أساور من ذهب ولؤلؤ ترسم رسالة النعيم الذي لا يضاهى. [١]

٢. الكِبر والغرور

الفرق بين ثياب النعيم والكبر هيئة لابسها وإيماءاته وأفعاله .

قال تعالى في شأن قارون : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [القصص:٧٩].

والزينة تشمل ماله وأثاثه ولباسه وجاهه[٢]، فاللباس يكمل مشهد الغرور ، بل لعله أهم عناصره.

٣. العفة :

المرأة فتنة بجمالها ، وقد أمر الله سبحانه النساء أن يسترن مواطن الفتنة في أجسامهن ليكون لباسهن رسالة عفة لكل ناظر .

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٩].

وقال سبحانه : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور:٣١] [٣].

٤. الإغراء :

ولما أمر القرآن المرأة أن تتزين بلباس العفة نهاها عن لباس الإغراء والفتنة - لغير الزوج - ، قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣]

وقال سبحانه : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور:٣١].

والتبرج : إظهار الزينة ، وما تستدعى به شهوة الرجل "[٤]

---

[١] انظر تفصيل ذلك ص٩٦.

[٢] البروسوي ،روح البيان ٥٥٣/٦.

[٣] فصلت آثار اللباس في الفصل الرابع ص١٣٩ .

[٤] الزجاج ، معاني القرآن ٢٢٥/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٥. الوقار :

ولم يترك القرآن الرجال يتخبطون في لباسهم ، بل وضع لهم ضوابط لذلك

قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف:٣١].

والمقصود بالزينة هنا اللباس لحلولها به، فهي مجاز مرسل علاقته الحالّية، ذكر الحال وأراد المحل [١]. وإذا كانت الآية تنهى عن الطواف بالبيت عراة كما كان يفعل أهل الجاهلية[٢]،إلا أنها تشير إلى اللباس النظيف الحسن الذي يعكس وقار المصلين[٣].

٦. الجريمة :

يتداول المحققون أن ليس هناك جريمة كاملة. والجريمة التي دبرت ليوسف عليه السلام فحماه الله منها ، كان اللباس الدليل الذي يدين مرتكب الجريمة .

قال تعالى كاشفاً مكر إخوة يوسف به: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ ﴾ [يوسف:١٨].

وقال تعالى حاكياً قول شاهد أهل امرأة العزيز : ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴾ [يوسف:٢٨].

فالقميص الملطخ بالدم في الآية الأولى، والمقدود من دبر في الآية الثانية، كانا دليل الجريمة[٤].

٧. العذاب :

وقد يرسم اللباس شدة العذاب التي يتجرعها اللابس لهذا اللباس.

قال تعالى عن أهل النار : ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴾ [الحج:١٩].

وقال سبحانه : ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم:٥٠].

والسرابيل : القمص التي يلبسونها[٥].

---

[١] انظر الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٣٢٣.

[٢] الآلوسي ، إرشاد العقل السليم ٤٨٩/٢ .

[٣] أنظر السعدي ،تيسير الكريم الرحمن ٢/ ١١٠ .

[٤] انظر تفصيل المشهد ص ١٠٠.

[٥] النسفي ، مدارك التنزيل ٢/ ١٨١ . انظر تفصيل المشهد ص ٩٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد تبين لنا من خلال هذا الفصل مدى اهتمام القرآن الكريم بلغة الجسم، وذلك لدورها البالغ في تجسيد المعاني وتصوير الأحداث وكأنها حاضرة عيان.

والفصل القادم سيبين كيف عرض القرآن الكريم هذه الإيماءات والحركات لتحقيــق أهــداف معينة في موضوعات عديدة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

صور عرض لغة الجسم
في القرآن الكريم

ويضم المباحث التالية

المبحث الأول : تصوير مشاهد الحياة الآخرة من حساب ونعيم وعقاب

المبحث الثاني : التصوير الفني للقصص القرآني من حيث لغة الجسم

المبحث الثالث : استخدام لغة الجسم في الصور البيانية لتجسيد معنى أو صفة

المبحث الرابع: تطبيق الحدود الشرعية وأثرها كلغة اتصالية في المجتمع

المبحث الخامس :عرض سمات المسلم من حيث لغة الجسم التي يجب أن يتحلى بها ، والسمات السلبية التي يجب اجتنابها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صور عرض لغة الجسم في القرآن الكريم:

تنوعت استخدامات القرآن للغة الجسم، ووظفها لخدمة موضوعات عديدة: تارة في العقيدة، وتارة في القصص القرآني، وثالثة في الأحكام. وفي هذا الفصل أعرض بعض هذه الاستخدامات.

المبحث الأول: تصوير مشاهد الحياة الآخرة من حساب ونعيم وعقاب:

امتازت العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد بوضوح غاية الخلق وأصل نشأته ومآله. فقد جعل الله سبحانه الدنيا دار بلاء والآخرة دار جزاء، وقد بينت النصوص القرآنية قضية الحياة بعد الموت وما يسمى " بالحياة الآخرة" ، ورسمت مشاهد كاملة عن أحداثها. وكان للغة الجسم النصيب الأكبر في عرض هذه المواقف، وذلك لما لها من أثر في تصوير الغائب وكأنه حاضر مشاهد.

وتعد الصور التي صورها القرآن الكريم لبعض مشاهد الغيب، رسائل اتصالية واضحة معبرة عن أحوال مرسليها من خلال حركات الجسم وإيماءاته وأوضاعه، لتغير في المستقبل شيئاً من أفكاره ومعلوماته، وما يتبع ذلك من استجابة وتغير في السلوك. هادفة إلى فرض نظام رقابة إلهي يرعى تطبيق نظام العدل وشريعة العدل.

ولقد عرض القرآن الكريم أربع مراحل في تلك الدار :

أ. لحظات الانتقال إلى الدار الآخرة.

ب. مشهد الحشر والحساب.

ت. مشهد النعيم في الجنات.

ث. مشهد العذاب في النار.

وسأتناول كل مشهد مبيناً ما ذكر فيه من مواقف اتصالية من خلال لغة الجسم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أ. **لحظات الانتقال إلى الدار الآخرة:**

ذكر القرآن الكريم طريقين لهذا الانتقال: الموت، وقيام الساعة.

أولاً : الموت [١]:

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الأنفال:٥٠].

وقال تعالى في شأن المرتدين على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الحق: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد:٢٧].

فالضرب رسالة تحمل في طياتها التأديب أو الإهانة بحسب البيئة والظرف الاتصالي الذي يدور فيه. إلا أن الضرب المذكور في الآية لا يعطي إلا معنى واحداً هو الإهانة والتحقير على ما جنوْه على أنفسهم.

"وهو مشهد مفزع مهين يصور حال أولئك الكفرة المحتضرين وهم في نهاية حياتهم على الأرض وفي مستهل حياتهم الآخرة، هذه الحياة التي تفتتح بضرب الوجوه والأدبار" [٢].

وابتدأت هذه المرحلة بالضرب لأنه مستهل الإهانة والتحقير.

ثانياً : قيام الساعة :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج:٢].

يرسم المشهد حالة الرعب والفزع والذهول عند اختلال موازين الكون وانخراق سنن الحياة. عندها سيرى المرء ما لا يتخيله العقل، ولا يتصوره الفكر. وقد عبر القرآن الكريم عن عظم هذا الحدث بما سيطرأ على حال المشاهد من ذهول ورعب مجسد في:

أ. ذهول المرضع عن رضيعها: فإذا شاهدت امرأة ترضع وليدها تصل إليك رسالة مفعمة بالحنان والعطف، تبين مدى حب هذه الأم لرضيعها وخوفها عليه. حتى إن الأمر ليصل إلى حد أن تضحي الأم بنفسها من أجل رضيعها لتنقذه من حريق أو غرق.. . ولا يمكنك أن تتصور أن هذه الأم يمكن أن تتخلى عن رضيعها في أي حادث أو موقف. ولكن الأحداث التي تتكلم عنها الآيات غير

[١] صور القرآن الكريم حال الكافرين في النزع من خلال لغة الجسم ولم يصور حال المؤمن لأن الموقف موقف ترهيب وتحذير وليس تشريف وتكريم، والله أعلم.

[٢] قطب، في ظلال القرآن ٣٢٩٨/٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الأحداث التي نرى أو نسمع. "فهو هول حي لا يقاس بالحجم والضخامة، ولكن يقاس بوقعه في النفوس الآدمية، في المرضعات الذاهلات عما أرضعن. وما تذهل المرضعة عن طفلها وفي فمه ثديها إلا للهول الذي لا يدع بقية من وعي" [١].

وبلاغة القرآن تتألق في رسم المشهد، فالمرضعة غير المرضع، لأن المرضعة هي التي معها صبي ترضعه وهي في حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبي. أما المرضع فهي التي من شأنها الإرضاع وإن لم تباشره [٢].

ب. الحامل التي تضع حملها:

وهذا أثر آخر لوقع هذا المشهد العظيم، فالحامل قد وضعت حملها من شدة خوفها، مما يعكس عظم الهول يوم القيامة.

جـ. الناس سكارى:

السُّكر يُذهب العقل، ويجعل المرء يسير متخبطاً لا يستقيم على قدم. فإذا كانت الخمر تذهب بالعقول في الدنيا، فإن هول الموقف يذهب العقل يوم القيامة. ولذا "ترى الناس من عظيم ما نزل بهم سكارى من الكرب والشدة والفزع وما هم بسكارى من الخمر " [٣].

---

[١] قطب، في ظلال القرآن ٢٤٠٨/٤

[٢] الطبري، جامع البيان ١٣٣/١٧ ، وانظر غير مأمور النسفي، مدارك التنزيل ٤٢٧/٢، والزمخشري، الكشاف ١٣٩/٣.

[٣] الطبري، جامع البيان ١٣٣/١٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب. مشهد الحشر والحساب :

مواقف عظيمة مهيبة يصورها القرآن لقطات حاضرة لأجناس مختلفة ، كلٌّ بحسب عمله. تارة وهو يتجرع كأس الخوف من هول ما يرى، وأخرى فزع ينتظر صحف الأعمال، وثالثة خاشع في موقف الحساب، ورابعة عند العرض على النار، وخامسة يتسربل القطران ويأكل الزقوم وتلفحه النيران.. . كل هذه المواقف ترتسم من خلال لغة الجسم لترسل رسالة التحذير من الحساب والعقاب.

١. البصر:

- شخوص البصر: والشخوص لغة : يدل على ارتفاع في شيء [١].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [إبراهيم:٤٢]

وقال تعالى: ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [الأنبياء:٩٧].

"وشخوص البصر أن ترفع أبصار أهل الموقف ولا تغمض من هول ما تراه في ذلك اليوم "[٢]. والسبب في ذلك الهلع والفزع ، فتظل مفتوحة مأخوذة بالهول لا تطرف ولا تتحرك"[٣].

- خشوع البصر:

وفي موقف آخر من مواقف ذلك اليوم.. مشهد بعثهم من الأجداث يحضرون إلى أرض المحشر والحساب قال تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر:٧].

ويقول تعالى واصفاً حال الكافرين يوم القيامة حين يُدعون إلى السجود فلا يستطيعون:

﴿ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ ﴾ [القلم:٤٣].

وهو موقف تنصب فيه الحسرة على القلب صباً.. الجباه ذليلة والرؤوس منكسة، والأبصار خاشعة. "وإنما وصف جل ثناؤه الأبصار بالخشوع دون سائر أجسامهم، والمراد به جميع

---

[١] ابن فارس،معجم مقاييس اللغة ٣/٢٥٤

[٢] الشوكاني، فتح القدير ٣/١٥٧

[٣] قطب، في ظلال القرآن ٤/٢١١١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أجسامهم، لأن أثر ذلة كل ذليل وعزة كل عزيز تتبين في ناظريه، فلذلك خص الأبصار بوصفها بالخشوع" [١].

٢. الوجوه:

تختلف أحوال الناس وهيئاتهم يوم القيامة باختلاف أعمالهم. حتى إن لون الوجه يصبح علامة على صلاح عمل العبد أو فساده.

فوجوه المؤمنين بيضاء نقية.. مشرقة مضيئة.. ضاحكة مستبشرة ... تعلوها حلة النضارة.. وتكسوها بهجة النعيم.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦]

" وهذا كناية عن البهجة والسرور" [٢].

ويقول تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس:٣٨-٣٩] [٣].

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ [٤] ۝٢٣ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

وقال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴾ [الغاشية:٨]. " والناعمة التي يُعرف النعيم فيها، وإنما حصل لها ذلك بسعيها" [٥].

فإن قلت : لماذا خُص وجه المؤمنين بالبياض؟

قلت: لأن البياض فيه معنى النضرة والإشراق والنعيم [٦]، وقد خص ربنا سبحانه وجههم بالصفات المذكورة -النضرة، الإسفار، النعومة- ليميز البياض الحسن عن البياض السوء الذي يكون من المرض. يقول سيد قطب : " وهنا يرسم السياق مشهداً من المشاهد القرآنية الفائضة بالحركة والحيوية. فنحن في مشهد هول .. هو لا يتمثل في ألفاظ ولا في أوصاف ولكن يتمثل في آدميين أحياء .. في وجوه وسمات. هذه الوجوه قد أشرقت بالنور وفاضت بالبشر، فابيضت من البشر والبشاشة. وهذه وجوه كمدت من الحزن واغبرت من الغم ، واسودت من الكآبة وليست مع هذا متروكة إلى ما هي فيه، ولكنه اللذع والتبكيت "[٧].

---

[١] الطبري، جامع البيان ١٠٥/٢٧

[٢] البيضاوي، أنوار التنزيل ٣٢/٢

[٣] "سفر: السين والفاء والراء أصل واحد يدل على الانكشاف والجلاء، يقال: وجه مسفر: إذا كان مشرقاً مسروراً " ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٨٢/٣.

[٤] والناضرة الحسنة الجميلة من النعيم، " ونضارة العيش حسنه وبهجته " الشوكاني، فتح القدير ٤٤٩/٥

[٥] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٠٤/٤.

[٦] انظر غير مأمور المسعودي، دلالة الألوان في آيات القرآن ٣٧٥.

[٧] قطب،في ظلال القرآن ١/ ٤٤٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وفي الجهة المقابلة يعرض سيما وجه الكافر.

يقول تعالى: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس:٤٠-٤١].

يحتمل أن يكون هذا أثر الحزن والكآبة والحسرة ، فيغشاها سواد يبدو في الوجه كالغبرة.

أما القتر: فهو ما يغشى الوجه من كرب، والقتر : الغبار[١].

وقال تعالى : ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٥-٢٤].

والبسور إظهار العبوس والكآبة [٢]، فهي كالحة عابسة كئيبة [٣].

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر:٦٠].

ويشبه ذلك السواد بظلمات الليل الأسود المرباد:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس:٢٧].

" يرسم السياق صورة حسية للظلام النفسي والكدرة التي تغشى وجه المكروب المأخوذ المرعوب كأنما أخذ من الليل فقطع رقعاً غشيت بها هذه الوجوه" [٤].

وصورة أخرى يلتقطها الناس في موقف الحشر لأولئك المجرمين. يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ [طه:١٠٢].

وقد اختلف المفسرون في موضع الزرقة : فقيل في الوجه [٥]، وقيل : زرق العيون لأن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون[٦].

---

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٥/٥٥.

[٢] الراغب، المفردات ص٥٥. يقول الراغب: بسر: أظهر العبوس قبل أوانه وفي غير وقته، فإن قيل: فقوله تعالى:"وجوه يومئذ باسرة" ليس يفعلون ذلك قبل الوقت، وقد قلت: إن ذلك فيما يقال قبل الوقت؟. قيل: إن ذلك إشارة إلى حالهم قبل الانتهاء بهم إلى النار . اهـ

[٣] الشوكاني، فتح القدير ٥/٤٥٠.

[٤] قطب، في ظلال القرآن ٣/١٧٧٩

[٥] قطب، في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٥٢

[٦] الزمخشري، الكشاف، ٣/٨٥، يقول فيلمون: "العين الزرقاء اليابسة النظر تدل على سوء السيرة وقلة العدل" (فيلمون، الفراسة ص٢٦).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقيل: بل زرقة العين ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند المحشر[١]. وذهب بعضهم إلى أن المقصود بزرقة العين العمى [٢].

والأولى في ذلك حمل النص على ظاهره، وهي زرقة البدن عامة ، تلك الزرقة التي تعكس حالة الفزع وترسم لون الخوف والقلق، لأنها أبلغ في الوصف وأكثر تأثيراً في النفس.

وفي موطن الحساب والعرض على الله ، الوجوه خاشعة:

قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴾ [الغاشية:٢]. أي ذليلة ، قال ابن عباس : " تخشع ولا ينفعها عمل " [٣].

وقال تعالى: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه:١١١]. أي ذلت وخضعت له خضوع العناة - وهم الأسارى- في يد الملك القهار [٤].

ومن صور العذاب في المحشر:

يقول تعالى : : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء:٩٧].

ويقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٤].

وهي صورة مزعجة مهينة ، "مشهد الحشر على الوجوه فيه من الإهانة والتحقير ما يقابل التعالي والاستكبار والإعراض عن الحق"[٥]. وحشرهم عمياً وبكماً وصماً مطموسين محرومين من جوارحهم التي تهديهم في هذا الزحام ، جزاء ما عطلوا هذه الجوارح في الدنيا عن إدراك دلائل الهدى[٦]. والعقل يستغرب حالة الحشر على الوجوه، وقد حصل من الصحابة الكرام مثل هذا الاستغراب ، حتى سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يمشون على وجوههم ؟ فقال: " إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم"[٧].

---

[١] الطبري، جامع البيان ١٢٣/١٦

[٢] ابن جزي، التسهيل ١٤/١.

[٣] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٠٣

[٤] البيضاوي، أنوار التنزيل ٣٩/٥

[٥] قطب، في ظلال القرآن ٢٥٦٣/٥

[٦] المرجع السابق ٢٢٥١/٤

[٧] أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، ح (٣١٤٢)، وصححه الألباني. انظر الألباني، صحيح الجامع ٣٤٧/١، ح (١٦٨٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٣. الرأس :

قد سبق ذكر أبصار الكافرين وكونها شاخصة يوم القيامة[١]، ولازم ذلك أن تكون هيئة الرأس مرفوعة، قال تعالى: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

مهطعين: مسرعين من أهطع يهطع إهطاعاً، إذا أسرع. والمعنى: إنهم يومئذ رافعون رؤوسهم إلى السماء ينظرون إليها نظر فزع وذل ولا ينظر بعضهم إلى بعض [٢].

وإذا كان رفع الرأس وشخوص البصر يرتسم في موقف الحشر، فهناك موقف آخر-إذ يوم الحساب مواقف- تتنكس فيه الرؤوس حين يتم عرضها على الحساب:
يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:١٢].

فالرأس منكوس ذلاً وغماً وندماً [٣]، بل حياءً من ربهم للذي سلف منهم من معصيته في الدنيا[٤].

وأما الموقف الثالث: فهو موقف يظهر الرعب سمة واضحة في الرأس. يقول تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ [المزمل:١٧]. فلا الرعب يوصف بالكلم، ولا يجسد بمعنى، وإنما يظهر عياناً أثراً جلياً في الرأس. وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه تفصيلاً لذلك الموقف: " إذا كان يوم القيامة دعا ربنا المَلِك آدم، فيقول: يا آدم أَخرِج بَعْث النار ، فيقول آدم : يا رب لا علم لي إلا ما علمتني. فيقول الله له : أخرج من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين. فيساقون إلى النار سوداً مقرنين زرقاً كالحين، فيشيب هنالك كل وليد"[٥].

٤. الأعناق:

[١] انظر ص ٨٦.
[٢] الشوكاني ، فتح القدير ١٥٧/٣.
[٣] ابن جزي، التسهيل ١٤٢/١
[٤] الطبري ، الجامع ١١٣/٢١.
[٥] الطبري، جامع البيان ١٦٤/٢٩

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كانت الأمم السابقة تقود السجناء والأسرى من خلال قيد يوضع في العنق، يمثل رسالة واضحة كون هذا المقيد سجيناً. والمشهد يوم الحشر نحو ذلك ، قال تعالى: ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ [الرعد:٥]. ويقول تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ:٣٣]. ويقول تعالى: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر:٧١-٧٢].

الغُـلّ: ما أحاط بالعنق على معنى التعنيف والتضييق والتعذيب والأسر، ومع العنق اليدان أو اليد الواحدة[١]. " والأيدي مشدودة بالأغلال إلى أعناقهم، موضوعة تحت أذقانهم، ومن ثم فإن رؤوسهم مرفوعة قسراً لا يملكون أن ينظروا بها إلى الأمام. فلا يملكون حرية النظر والرؤية وهم في هذا المشهد العنيف"[٢]، وذلك جزاء لهم على ما كانوا فيه في الدنيا، حيث لا يلتفتـون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رؤوسهم له[٣].

وبالإضافة إلى الأغلال في الأعناق، فهناك سحب وجر إلى النيران. يقول سيد قطب: "إنهـا الإهانة والتحقير في العذاب، لا مجرد العذاب. بهذه المهانة كما تسحب الأنعـام والوحـوش. وعلام التكريم وقد خلعوا عن أنفسهم شارة التكريم ؟. وبعد السحب والجر في هـذا العـذاب، وفي هذه المهانة، ينتهي بهم المطاف إلى ماء حار وإلى نـار " فـي الحمـيم" أي يربطـون ويسحبون على طريقة سجر الكلاب، أي يملأ لهم المكان ماءً حاراً وناراً موقدة، وإلـى هـذا ينتهون"[٤].

٥. الظهر:

مؤثرة تلك الصورة .. صورة من يحمل حملاً ثقيلاً على ظهره، يكاد يقعد به لفـرط ثقله. سترى مثل هذا المشهد كثيراً يوم القيامة لكن الحمل ليس حمل أثقال ومتاع، بـل حمـل أثقال وأوزار من آثام.

---

[١] أبو حيان، البحر المحيط ٥٠/٩

[٢] قطب، الظلال ٢٩٥٩/٥

[٣] الزمخشري ، الكشاف ٥/٤

[٤] قطب ، في ظلال القرآن ٣٠٩٧/٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [الأنعام:٣١].

وقال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت:١٣].

موقف يجسد ضرر الذنوب والمعاصي والأوزار حين تشخص في أثقال. " والتعبير بالأثقال إيذان بأنها ذنوب عظيمة" [١].

والنص يخصص الحمل على الظهر لأنه قد يكون على الرأس أو المنكب وغير ذلك ، فبين موضع حملهم " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم كالدواب الموقرة بالأحمال، بل الدواب أحسن حالاً فهي تحمل أوزاراً من الأثقال. لكن هؤلاء يحملون أوزاراً من الآثام. والدواب تحط عنها أوزارها فتذهب لتستريح ، وهؤلاء يذهبون بأوزارهم إلى الجحيم مشيعين بالتأثيم" [٢].

ومشهد آخر لأولئك الذين يغلون من الغنائم في الحروب، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٦١]. وقد أخرج الطبري بسنده عن أبي هريرة، قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوماً، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، فقال: "لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. ألا هل عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة، يقول : يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً" [٣].

---

[١] الشوكاني ، فتح القدير ٢٥٦/٤

[٢] قطب ، في ظلال القرآن ١٠٧٢/٢

[٣] الطبري، جامع البيان ١٦١/٤، وصححه الشيخ ناصر . انظر الألباني، صحيح الجامع ح(٣١٣٧).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٦. قرائن اللفظ:

قد قدمنا في الفصل الأول أن قرائن اللفظ هي نبرة الصوت، أو طريقة إخراج اللفظ. وقد تجسدت مثل هذه القرائن في أرض المحشر، هناك في ذلك الموقف، يوم يحشر الناس جميعاً، وتصف الملائكة والجميع يستعد لنصب الميزان والحساب والوقوف بين يدي الجبار العظيم. يحل الصمت.. ويخيم الخوف.. الأبصار خاشعة.. والرؤوس منكسة.. والقلوب واجفة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ [غافر:١٨]. ولنصغ للقرآن يحدثنا عن ذلك : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ [النبأ:٣٨]. وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [هود:١٠٥]. وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه:١٠٨]. وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۝١٠٢ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾ [طه:١٠٢-١٠٣].

"في ذلك اليوم يوم تقوم الأرواح في أجسادها إثر البعث والنشأة الآخرة، ويكون الجمع من الإنس والملائكة صفاً ولا يتكلم أحد هيبة وفزعاً، إلا من أذن له الرحمن من ملك أو نبي، وكان أهلاً أن يقول صواباً في ذلك الموطن" [١]. وقيل الهمس صوت الأقدام، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: " لا تسمع من صوت أقدامهم إلا صوتاً خفياً كما يسمع من وطء الإبل" [٢].

- بقي أن نلقي نظرة على مشهد يحوي قرائن اللفظ، لنتبين أثرها في بيئة الاتصال:

قال تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [فاطر:٣٧].

يصدر المرء الصراخ لضجر أو ألم شديد، ولكن صراخ أهل النار يجمع من الضجر أقصاه، ومن الألم أشده.

---

[١] ابن عطية ، المحرر الوجيز ٢٩٥/١٥

[٢] الطبرسي، مجمع البيان ٤٦/٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول صاحب الظلال [١]: " ثم ها نحن أولاء يطرق أسماعنا صوت غليظ محشرج مختلط الأصداء، متناوح من شتى الأرجاء، إنه صوت المنبوذين في جهنم: "وهم يصطرخون فيها"، وجرس اللفظ نفسه يلقي في الحس هذه المعاني جميعاً" اهـ.

وعبر بالاصطراخ وليس بالصراخ " لأن الاصطراخ أبلغ وأعنف فهو الصياح بجهد وشدة" [٢] .

٧. هيئات عامة:

- الجثو على الركب: قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية:٢٨].

" في ساحة العرض الهائلة وقد تجمعت فيها الأجيال الحاشدة التي عمرت هذا الكوكب في عمره الطويل القصير، وقد جثوا على الركب متميزين، أمة أمة في ارتقاب الحساب المرهوب" [٣].

عض الأصابع ندماً: قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٢٧].

وعض اليدين والأنامل والسقوط في اليد وأكل البنان، كنايات عن الغيظ والحسرة[٤]. والعض يكون على الأصابع، وإنما ذكر اليدين مبالغة في الحسرة والندامة. فهو من باب ذكر الكل وإرادة الجزء. " وقد يكون العض على اليدين حقيقة يداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع" [٥].

- العرض على الله فرداً:

قال تعالى: ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم:٩٥]. فالإنسان يأنس بغيره خاصة في موطن الرعب والخوف، لكنه في يوم الحساب يعرض فرداً، فلا أنيس ولا ناصر.

---

[١] قطب ، في ظلال القرآن ٢٩٤/٥.

[٢] انظر غير مأمور الزمخشري، الكشاف ٥٩٧/٣

[٣] قطب الظلال ٣٢٣٣/٥

[٤] الزمخشري ، الكشاف ٢٦٨/٣.

[٥] قطب ، في ظلال القرآن ٢٥٦٠/٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" فالمراد أن ما كان شاغلاً لهم من المال والولد والخدم والحشم والأثاث والرياش عن الإيمان بالرسل والاهتداء بما جاؤوا به لم ينفعهم"[١]. ولهذا قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام:٩٤].

* لغة الجسم الناطقة:

إذا كانت لغة الجسم تعبر عن الإيماءات والأفعال والحركات المولدة عن أعضاء الجسم، فإنها في موقف الحشر ستنطق لساناً فصيحاً، فتتحول الإيماءة والفعل والحركة إلى لسان ناطق.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ النور:٢٤].

وقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس:٦٥].

"موقف رهيب يصور حالة الخذلان التي يعيشها الكافر يوم القيامة حيث تشهد عليه جوارحه وتتفكك شخصيته مزقاً وآحاداً، يكذب بعضها بعضاً، وتعود كل جارحة إلى ربها منفردة، ويثوب كل عضو إلى بارئه مستسلماً" [٢].

أخرج مسلم في صحيحه عن أنس قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، فقال: "هل تدرون مم أضحك؟" قال: قلنا : الله رسوله أعلم. قال: "من مخاطبة العبد ربه. يقول: يا رب، ألم تجرني من الظلم؟ قال: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً. قال: فيختم على فيه. فيقال لأركانه: انطقي. قال: فتنطق بأعماله. قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام. قال: فيقول: بُعداً لكنّ وسحقاً فعنكن كنت أناضل" [٣].

جـ. مشهد العذاب في النار:

---

[١] رضا، المنار ٥٢٣/٧

[٢] قطب ، في ظلال القرآن ٢٩٧٣/٥

[٣] مسلم، صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق، باب – ح (٢٩٦٩).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يبدأ هذا الموقف بالعرض على النار قبل دخولها. ولم يفوت القرآن تصوير إيماءات وجه الكافر في هذا المشهد. قال تعالى: ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ ﴾ [الشورى:٤٥].

"ينظرون إلى النار من طرف ذليل وصفه الله جل ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم حتى كادت أعينهم أن تغور فتذهب"[١]. " ويبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفي بمسارقة، وهكذا نظر الناظر إلى المكاره ولا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها"[٢]. وتتجلى بلاغة القرآن في أدق وصف وأوجز عبارة.

- لباس أهل النار:

قدمنا في الفصل الأول أن اللباس يعد من لغة الأشياء التي تعكس ظلالها على لغة الجسم. فالسجناء مثلاً يلبسون بدلة زرقاء، إذا رأيتهم من بعيد علمت أنهم سجناء. ولكن ماذا تراك تتخيل لباس أهل النار؟!

يقول تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴾ [الحج:١٩].

ويقول سبحانه: ﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبراهيم:٤٩-٥٠].

" يقدر لهم نيراناً مقادير جثثهم تشتمل عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة"[٣]، وشبهت النار بالثياب لأنها مشتملة عليهم كاشتمال الثياب[٤].

وأما السرابيل وهي القمص التي يلبسونها[٥]، فهي من قطران : " وهو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فيدهن به الإبل الجربى، فيحرق الجرب بحدته وحره. ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار. وهو أسود منتن الريح، فيطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه

---

[١] الطبري، جامع البيان ٥٠/٢٥

[٢] أبو حيان ، البحر المحيط ٣٤٦/٩

[٣] المرجع السابق ٤٩٥/٧

[٤] الشوكاني، فتح القدير ٦٠٥/٣

[٥] الطبري، جامع البيان ٣٠٢/١٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لهم كالسرابيل، ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش ونتن الريح" [١].

ولما كان الوجه أشرف عضو ظاهر في البدن وهو موطن العزة والذلة، كان له النصيب الأكبر من العذاب.

يقول تعالى: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل:٩٠].

"مشهد مفزع أن يطرحوا على وجوههم منكوسين [٢]، ويزيد عليهم التبكيت والتوبيخ [٣].

وهذا قمة الإذلال: أن يبتدأ مس النار لأشرف عضو، إهانة وتحقيراً.

وإذا ما دخلوها فلا يهنأ وجههم وجسدهم براحة. قال تعالى: ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٩].

وقال تعالى في شأن من خفت موازينه : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٤].

نعوذ بالله.. يسفع وجوههم لهب النار فتحرقها وهم فيها، فتتقلص الشفاه عن الأسنان، وهو الكلوح، من إحراق وجوههم [٤].

وخص الوجه باللفح لأنه أشرف ما في الإنسان، فإذا لفح الأشرف فما دونه ملفوح [٥].

وليس هذا فحسب ، بل لا بد من تقليب للوجوه في النار وسحب لها. قال تعالى في شأن الكفار: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب:٦٦].

---

[١] النسفي، مدارك التنزيل ١٨١/٢

[٢] الزمخشري، الكشاف ٣٧٥/٣.

[٣] قطب ، في ظلال القرآن ٢٦٦٩/٥

[٤] الطبري ، جامع البيان ٦٩/١٨

[٥] أبو حيان، البحر المحيط ٥٨٥/٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴾ [القمر:٤٧-٤٨].

لما استكبروا واعتزوا بقوتهم وسلطانهم، جعل العذاب من جنس العمل، بأن ينقلب موطن العزة في وجوههم موطن ذلة وتحقير.

والسعر : نار تسعر عليهم [١]. ويجيب الإمام الطبري على تساؤل: " فإن قال قائل: كيف يذاق مس سقر، أوَلَه طعم فيذاق؟. فإن ذلك مختلف فيه، فقال بعضهم: ذلك كذلك على مجاز الكلام، كما يقال : كيف وجدت طعم الضرب وهو مجاز. وقال آخر: ذلك كما يقال: وجدت مس الحمى، يراد به أول ما نالني منها، وكذلك وجدت طعم عفوك" [٢].

وهناك عذاب مخصوص لذنب مخصوص، سائراً على قاعدة الجزاء من جنس العمل. يقول تعالى في شأن مانعي الزكاة وكانزيها: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة:٣٥].

فإن سألت: لِم خصت هذه الأعضاء بالكي دون غيرها؟ فالجواب ما قاله أبو بكر الوراق[٣]: "لأن الغني صاحب الكنز إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى ما بين عينيه، وولاه جبينه، فإذا رآه أتى إليه من جنبه ولاه ظهره وأعرض عنه بكشحه"[٤].

وقيل: الجباه التي كانوا يستقبلون بها الناس منبسطة أساريرها من الاغتباط بعظم الثروة، ويستقبلون بها الفقراء منقبضة من العبوس والتقطيب في وجوههم لينفروا ويحجموا عن السؤال. وجنوبهم وظهورهم التي كانوا يتقلبون بها على سرر النعمة اضطجاعاً واستلقاءً، ويعرضون بها عن لقاء المساكين وطلاب الحاجات ازوراراً وإدباراً [٥].

قلت : وكلا التفسيرين محتمل.

<u>د: مشهد النعيم في الجنة :</u>

---

[١] البغوي ، معالم التنزيل ٣٢٧/٤.

[٢] الطبري، الجامع ١٢٨/٢٧

[٣] البغوي ، معالم التنزيل ٣٦/٢

[٤] الكشح : الخصر. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١٨٣/٤.

[٥] رشيد رضا ، المنار ٣٥٥/١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد وصف القرآن الكريم الجنة بأوصاف عديدة، فوصف أنهارها وأشجارها وغرفها وطعامها وشرابها، إلا أن موطن دراستنا تلك الآثار التي خلفتها هذه الأوصاف على نفس المؤمن في تلك الدار ، وكيف ينعكس ذلك من خلال لغة الجسم. سواء أكانت حركات وأفعالاً، أم إيماءات وأوصافاً. وكذلك أثر لغة الأشياء ، كاللباس والزينة، كفرع من فروع لغة الجسم.

١. نضارة الوجه:

قد مر معنا في المبحث السابق آيات كريمة بينت ملامح وأوصاف وجوه المؤمنين في المحشر ، من حيث بياض الوجه[١]، ونضارته[٢]، واستبشاره[٣]، وانعكاس أثر النعيم عليه[٤]. وفي هذا غناء عن إعادته هنا.

٢. اللباس:

الذي يتتبع وصف الجنة وما فيه من نعيم دائم وبهجة، يسمو بخياله إلى ذلك الذي يتنعم في هذا النعيم، ويتغنى في هذه البهجة. ولعله يتساءل عن لباسه الذي يتزيا به وهيئته التي يتحلى بها. وقد سجل القرآن الكريم ذلك الوصف لتلك النفوس التي تتوق بشغف لمعرفة ذلك.

قال تعالى : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الكهف:٣١]. وقال تعالى : ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج:٢٣] ،وقال سبحانه : ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر:٣٣]. ويقول سبحانه : ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الدخان:٥٣].

السندس: جمع واحدها سندسة ، وهي ما رق من الديباج - الحرير-.

والإستبرق: ما غلظ منه وثخن[٥]. فلباس أهل الجنة الحرير ، ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي الأبدان، والإستبرق، ومنه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس"[٦].

وقد بينت البلاغة القرآنية أن لباس الحرير هو اللباس الدائم لهم في الجنة ، حيث قال سبحانه : " ولباسهم فيها حرير" ، حيث غاير الأسلوب ، فلم يقل "ويلبسون فيها حرير" إشارة

---

[١] قوله تعالى : " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه" آل عمران ١٠٦

[٢] قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة " القيامة ٢٢ ، وكقوله تعالى : " تعرف في وجوههم نضرة النعيم" المطففين ٢٤

[٣] قوله تعالى : " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة" عبس ٣٨،٣٩

[٤] قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناعمة " الغاشية ٨

[٥] الطبري ، جامع البيان ٢٨١/١٥

[٦] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤٥٧/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلى أن الحرير ثيابهم المعتادة في الجنة، فإن العدول عن الجملة الفعلية " يلبسون" إلى الجملة الاسمية " لباسهم فيها حرير" يدل على الدوام والثبات كما هو معلوم [١].

فإن قلت : لم كان الحرير هو اللباس وليس غيره ؟ قلت: لأنه ناعم الملمس خفيف المحمل، طيب المظهر ، بل هو عنوان الفخامة ، ووسام الإجلال والتعظيم[٢]، ولهذا حُرم على الرجال في الدنيا.

أما سر اختيار اللون الأخضر ، فلأنه لون يدل على الهدوء والمسالمة والراحة والأمن والرقة والنعومة والطراوة والرزانة[٣].

٣. الزينة:

تعد الزينة التي ترتسم على الجسم، سواء أرتبطت باللباس أم كانت زينة لأحد الأعضاء، تعد مظهراً من مظاهر الغنى والتنعم. وقد ارتسمت رسالة اتصالية جميلة من أهل الجنة ، توحي بالنعيم العظيم هناك.

قال تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ [الكهف:٣١].

وقال تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [الحج:٢٣]، وقال سبحانه: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [فاطر:٣٣].

والأساور : جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، وهي زينة تلبس في الزند من اليد، وهي زينة الملوك[٤]. وهذه الأساور تكون من ذهب مرصع بلؤلؤ، وقيل : يلبسون الأساور من نوعين: الذهب واللؤلؤ[٥].

٤. الهيئة :

تعكس الهيئة التي يجلس بها المرء الحالة النفسية التي يعيشها. وتعتبر هيئة الاتكاء الجلسة التي تحمل أكثر معنى للراحة.

فالمتكأ محل الاتكاء ، والاتكاء : جلسة قريبة من الاضطجاع على الجنب ، مع انتصاب قليل في النصف الأعلى، وإنما يكون الاتكاء إذا أريد إطالة المكث والاستراحة[٦].

---

[١] انظر الصاوي ، حاشية الصاوي١٣٣/٤

[٢] انظر المراغي، تفسير المراغي ٢٢٧/٦

[٣] انظر ملخي، الألوان نظرياً وعملياً ٧٢،٧٤.

[٤] الزجاج ، معاني القرآن ١١٦/٤

[٥] الصاوي ، حاشية الصاوي ١٨/٤.

[٦] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ٢٦٢/١٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولكن متكأ الجنة مختلف ، فهم متكئون على الأرائك. والأرائك : السرر في الحجال، واحدتها أريكة [١]. وتكون هذه الأرائك في الظل كما قال تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [يس:٥٦]. وهو بذلك مستبشر ضحوك السن ، هادي النفس، لا يرى شيئاً يغمه أو ينغض سروره. وهذا منتهى ما تسمو إليه النفوس من لذة[٢].

قال تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور:٢٠].

وقال تعالى: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴾ [الواقعة:١٥-١٦]. وقال تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ ﴾ [الرحمن:٥٤]. وقال تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ [الرحمن:٧٦].

السرر مصفوفة ، قد وضعت بمقدار دقيق بالمكان ، فلم تلق عبثاً. وهي موضونة ، "والوضن في الأصل نسج الدرع ، ثم استعير للنسيج أو لنسيج محكم مخصوص، ومن ثم فسر المفسرون الآية بأنها مشبكة بالذهب والجوهر"[٣]. أو مرمولة بالذهب[٤].

وبطائن الفرش التي تغطيها من إستبرق وهو غليظ الحرير كما مر.

قال ابن مسعود رضي الله عنه : " أخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر "[٥].

وأما الرفرف : " فجمع ، واحدته رفرفة. قال أبو عبيدة: وهي الفرش والبسط. والعبقري: هي الطنافس الثخان، وعبقر بلد ينسب إليه كل جيد " [٦]. وقيل : الرفرف رياض الجنة ، والعبقري: الديباج [٧].

وعليه ، فلباس الحرير الأخضر المرصع بالذهب ، والاتكاء على أسرّة الذهب المنسوجة الجواهر في رياض الجنة وعلى بسط الديباج، يعد رسالة بالغة الحسن معبراً عنها بلغة الجسم، توحي بالنعيم والبهجة والسرور السابغ على أهل الجنة.

---

[١] الطبري ، جامع البيان ٢٨٠/١٥.

[٢] المراغي، تفسير المراغي ١٤٣/٨.

[٣] الطبري ، جامع البيان ٢٠٠/٢٧.

[٤] ابن أبي حاتم ، تفسير ابن أبي حاتم ٣٣٣٠/١٠

[٥] الشوكاني، فتح القدير ١٩٢/٥

[٦] ابن الجوزي، تذكرة الأريب ١٩٨/٢.

[٧] الطبري ، جامع البيان ١٩٠/٢٧

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: التصوير الفني للقصص القرآني من حيث لغة الجسم:

تبرز في القرآن الكريم سمة تصوير الحدث وعرضه أمام ناظريك وكأنك تعيش في بيئته وأجوائه. وقد كان للغة الجسم دور حيوي في هذه السمة التصويرية ، حيث عبرت في مواقف كثيرة اتصالية عن معان عديدة، شاركت في رسم لوحة ذلك المشهد.

ولما كانت هذه السمة جلية الوضوح في قصة يوسف عليه السلام، فسأكتفي بعرض مشاهد منها مبرزاً أثر لغة الجسم في الموقف الاتصالي، وطريقة عرض النص القرآني له.

المشهد الأول :

تحدث المشهد الأول في القصة عن الحسد الذي وقع في قلوب إخوة يوسف عليه السلام، لما كانوا يتوهمونه من حب أبيهم لأخيهم يوسف حباً زائداً عن حبه لهم. فمكروا مكراً عظيماً في مشورة مكيدة انتهت بقرار إلقائه في الجب. وبعدما تمت الجريمة ، رجعوا إلى أبيهم بقصة بهتان. قال تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف:١٦-١٨].

يفتتح المشهد بظلام قد حل ، وبكاء، معلناً بداية القصة.

والعشاء: وقت غيبوبة الشفق الباقي من بقايا شعاع الشمس بعد غروبها[١]. واختاروا وقت العتمة ليكونوا أجرأ في الظلمة على الاعتذار بالكذب[٢]، وليتمكنوا من إخفاء إيماءات الوجه وتعابيره التي قد تكشف مكرهم.

فلغة الظرف هنا كان لها أكبر الأثر في إخفاء لغة الجسم تذكيراً بأهمية عنصر البيئة في الاتصال.

والبكاء المذكور بكاء مصطنع، غطت معالمه وإيماءاته عتمة الليل. رافقه قميص ملطخ بدم ، ولكنه دم كذب، "سماه الله كذباً لأن الذين جاؤوا بالقميص كذبوا"[٣]، فقالوا ليعقوب: هو دم يوسف ولم يكن دمه[١].

---

[١] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ٢٣٦/١٢. يقول ابن فارس في الفعل عَشَـوَ: "العين والشين والحرف المعتل أصل صحيح يدل على ظلام وقلة وضوح في الشيء، ثم يفرَّع منه ما يقاربه. من ذلك العشاء وهو أول ظلام الليل" ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٣٢٢/٤.

[٢] ابن الجوزي ، زاد المسير ١٩١/٤.

[٣] الطبري ، جامع البيان ١٩٣/١٢. وقال الزمخشري٤٣٣/٢: بدم كذب أي ذي كذب، أو وصف بالمصدر للمبالغة، كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب : هو الكذب بعينه.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعد القميص رسالة موحية بجريمة قتل ، أو افتراس لجسم، فآثار الـــدم - وإن كـــان كذباً- تصور جسماً قد جرح أو تمزق.

المشهد الثاني:

قـــال تعـــالى : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف:٢٣].

يعرض المشهد صورة يوسف عليه السلام فائقة الجمال، فلقد رآه محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء وقد أوتي شطر الحسن [٢]. يوسف الخادم في بيت صاحبة السلطان والجمال "التي كانت تنظر إلى جماله وهو صغير نظرة إعجاب ، ثم لا شيء لأنه صغير. ولكن عندما بلغ أشده ابتدأ خيالها يسرح في أكثر من ذلك "[٣].

ولفظة (تراود) : توحي بكثير من لغة الإغراء التي تعرض لها يوسف عليه السلام وهو فـــي (بيتها)، وأمام ناظريها صباح مساء. ولا بد أنها قد استخدمت كل رسالة توحي له بهدفها مـــن خلال اللباس والزينة، ونبرات الصوت ، وإيماءات الوجه، وتعابير الجسم. كل هذا يعبر عنه القرآن ترفعاً في لفظة (تراود).

" والمراودة المقتضية تكرير المحاولة بصيغة المفاعلة، والمفاعلة مستعملة فـــي التكريـــر"[٤].

وقيل: المفاعلة هنا من الواحد : نحو داويت المريض.

و(عن) للمجاوزة: أي راودته مباعدة له عن نفسه ، أي بأن يجعل نفسه لها. والظاهر أن هذا من مبتكرات القرآن ، فالنفس هنا كناية عن غرض المواقعة[٥].

وقد ذكر الفعل مرة بصيغة الماضي "وراودته" تحقيقاً لحصوله، وأخرى بـــصيغة المـــضارع "تراود" الذي يفيد التجدد ، ويوحي بتكرار محاولة الإغراء مرات كثيرة ، كل مرة يتجدد فيها الأسلوب، وتتغاير فيها لغة الجسم ولغة الأشياء.

ثم تجاوز الحب المشاعر الكامنة في النفس إلى عزم تحاول فيه تفريغ مشاعرها مـــن خلال لغة الجسم. و(غلقت الأبواب): والتشديد للتكثير أو للمبالغة[٦]. وهي احتياطات وقائيـــة

---

[١] حكمت، التفسير الصحيح ٨١/٣، مروي عن مجاهد ، قال المؤلف : بسند صحيح.

[٢] مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلوات، ح (٢٥٩).

[٣] الشعراوي، قصص الأنبياء ٩٥٤/٢.

[٤] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ٢٥٠/١٢

[٥] ابن الحنبلي، اللباب ٥٦/١١.

[٦] البيضاوي ، أنوار التنزيل ١٦٠/٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى لا يكتشف أحد جريمتها. والنص موحٍ أنها قد استدرجته إلى غرف داخلية حيث تتناغم لغة الجسم في تلك البيئة فتوصل الإغراء إلى منتهاه.

وقالت " هيت لك"[١]: وهي المصارحة المطلقة لإرادتها الوطء.

" ولقد همت به وهم بها" : قصدت مخالطته، فالهم بالشيء قصده والعزم عليه، ومنه الهمام، وهو الذي إذا هم بالشيء أمضاه. ولم يحصل هم من يوسف عليه السلام، إذ رأى برهان ربه، فالمعنى: وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، أي أنه لم يهم بها بسبب رؤيته برهان ربه، كقولك : قتلته لو لم أخف الله[٢].

وهكذا عصم الله يوسف من إغواء امرأة العزيز على ما بالغت فيه من استغلال لغة الجسم لتحقيق مقصدها.

المشهد الثالث:

يعد الأثاث واللباس رسالة اتصالية يحصل بها المستقبل على معلومات كثيرة عن المرسل ، من حيث مستواه الاجتماعي، وحالته المادية.

ويفتتح المشهد الثالث على أثاث ولباس وجلوس واتكاء.. رسالة تدلي معلومات كثيرة عن حالة الترف وطبيعة الاجتماعات في تلك القصور.

﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف:٣٠-٣١].

" أحضرت لهن نمارق يتكئن عليها لتناول الطعام. فهم أهل الترف ، يأكلون متكئين كما كانت عادة الرومان ولم تزل أسرّة اتكائهم موجودة في ديار الآثار "[٣].

---

[١] ورد في هذه اللفظة قراءات صحيحة هي :

هــَيْتُ: بفتح الهاء وضم التاء وبينهما ياء ساكنة . وهي قراءة ابن كثير.

هِيتَ : بكسر الهاء وفتح التاء وبينهما ياء ساكنة. وهي قراءة نافع وابن عامر وابن ذكوان وأبي جعفر.

هــِئتُ : بكسر الهاء وضم التاء وبينهما همز ساكن وهي قراءة لهشام، وله وجه ثان هِئتَ بفتح التاء.

هَــيْتَ : بفتح الهاء والتاء ، وبينهما ياء ساكنة . وهي قراءة الباقين. (الميسر في القراءات الأربعة عشر ص٢٣٨)

فالقراءات تشير إلى معنى **الإقبال** ، **والتهيؤ للأمر** (الموضح في وجوه القراءات وعللها ٦٧٥/٢)، يقال : رجل هــيّئ صيّر وشيّر : إذا كان حسن الهيئة والصورة والشارة (الحجة في القراءات السبعة ٤٤٥/٢).

[٢] البيضاوي، أنوار التنزيل ١٦٠/٣.

[٣] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ٢٦٢/١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبينما هن يحملن السكاكين ليقطعن ما قدمت لهن، أمرت امرأة العزيز يوسف عليه السلام بالدخول. كان النسوة يتوقعن أن يشاهدن شاباً وسيماً جميلاً، إذ لا تفتن امرأة العزيز بأي أحد. ولكن الدهشة الكبرى كانت عندما طلع عليهن ذلك الشاب.

نور النبوة أضاء نضارة الوجه.. جمال وجلال .. وصف أخاذ لا يتخيل أن يكون لأحد من البشر.

" فلما رأينه أكبرنه" : أي وجدن صورته فوق كل تخيل، بحيث أصابتهن حالة من الانبهار والذهول مما رأين أمامهن. ذهول من المفاجأة التي لم تكن متوقعة." تجعلك لا تلتفت إلى ما في يدك، بل تنشغل كل حواسك وعقلك بما رأيت . فقعطن أيديهن بدلاً من أن يقطعن الطعام. وهذا تصوير واقعي يوضح لنا درجة الذهول التي أصابت النسوة، إذ كان الذهول الأكبر من الألم فاستمر التقطيع دون أن يدرين"[١].

وأريد بالقطع : الجرح، أطلق عليه القطع مجازاً للمبالغة في شدته حتى كأنه قطع قطعة من لحم اليد[٢].

وقد يكون مجازاً مرسلاً علاقته الجزئية ، ذكر الكل (اليد) وأراد الجزء (الأصابع) للمبالغة كذلك.

" وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم" : " فإن الجمع بين الجمال الرائق ، والكمال الفائق ، والعصمة البالغة من خواص الملائكة. أو لأن جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه إلا الملك[٣].

وقد ظهر من هذا المشهد كيف وصف القرآن الكريم ذلك الحدث وصفاً دقيقاً من خلال عرض لغة الجسم المتمثلة بأوصاف يوسف عليه السلام، وحالة الذهول التي أصابت النسوة مجسدة في تقطيع الأيدي.

المشهد الرابع :

يعرض القرآن الكريم موقف يعقوب عليه السلام بعدما دخل عليه بنوه، وأخبروه أن ابنه الآخر قد سرق فحبس. فذكرته فجيعته بولده الثاني مصيبته الأولى بيوسف.

قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:٨٤].

---

[١] الشعراوي ، قصص الأنبياء ١٠٠٩/٢.

[٢] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ٢٦٣/١٢.

[٣] البيضاوي، أنوار التنزيل ١٦٢/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

" وهي صورة مؤثرة للوالد المفجوع، يحس أنه منفرد بهمه ، وحيد بمصابه لا تشاركه هــذه القلوب التي حوله ولا تجاوبه، فينفرد في معزل، يندب فجيعته في ولده الحبيب الذي لم ينسه، ولم تهون من مصيبته السنون. والذي تذكره به نكبته الجديدة في أخيه الأصغر ، فتغلبه على صبره الجميل " يا أسفا على يوسف"[١].

ويكظم الرجل حزنه ويتجلد فيؤثر هذا الكظم في أعصابه حتى تبيض عيناه حزناً وكمداً.

وابيضت عيناه : أي غلبه البكاء ، وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين، فتصير العين كأنها ابيضت من بياض ذلك الماء[٢]. وكأن العبرة محقت سوادها[٣].

وتمثل هذه الإيماءة رسالة مؤثرة ترسم حالة الكمد والحزن التي وصل إليها يعقــوب عليه السلام.

---

[١] سيد، في ظلال القرآن ٨٨٩/٢.

[٢] ابن الحنبلي ، اللباب ١٩٠/١١.

[٣] البيضاوي، أنوار التنزيل ١٧٤/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: استخدام لغة الجسم في الصور البيانية لتجسيد معنى أو صفة:

البلاغة القرآنية أخذت من البيان أبدعه، ومن المجاز أخصره، ومن المعاني أتمها وأوفاها، تجلت في آياته وسوره، في حروفه وكلمه. وقد ساهمت لغة الجسم في تلك الصور البديعة ترسمها بلاغة القرآن لتعكس معاني عديدة.

أ. قال تعالى في شأن أهل الكتاب الذين تركوا العمل بكتابهم: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [البقرة:١٠١]. وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٧].

"النبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد بالشيء والالتفات إليه "[١]. ونبذه أي طرحه أو نقضه أو ترك العمل به أو اعتزله أو رماه . أقوال خمسة وهي متقاربة المعنى، أوردها أبو حيان في تفسيره[٢]، ثم قال : " ونسبة النبذ إلى العهد مجاز، لأن العهد معنى، والنبذ حقيقة إنما هي في المتجسدات. قال تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص:٤٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ [مريم:١٦]".

يقول الإمام الآلوسي: "وقد شبه تركهم كتاب الله تعالى ، وإعراضهم عنه، بحالة شيء يرمى به وراء الظهر. والجامع عدم الالتفات وقلة المبالاة. والعرب كثيراً ما تستعمل ذلك في هذا المعنى"[٣].

وهذا تصوير دقيق عجيب، حيث استوحى النص صورة الذي يرمي بشيء خلف ظهره ويروح ويتركه غير آبه به ولا مكترث له، واستعارها لحال أولئك الذين هجروا العمل بكتاب الله المنزل عليهم، غير آبهين بأحكامه ولا مكترثين لحرمته -على سبيل الاستعارة التصريحية- ، تبياناً لسوء أحوالهم وتدهور إيمانهم وتذكيراً لهم بالإنابة ، وتنفيراً لغيرهم من الإقبال والإقدام على فعلهم.

---

[١] الزمخشري، الكشاف ٤٤٠/١، وانظر غير مأمور : رضا، المنار ٢٣٠/٤، والطبري ،الجامع ٢٥٤/٤، البروسوي، روح البيان ٢٤٠/١، الدرة، إعراب القرآن وبيانه ٢٨٦/٢

[٢] أبو حيان ، البحر المحيط ٥١٩/١

[٣] الآلوسي، روح المعاني ٤٥٧/١

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة:٢٦٧].

أمر الله سبحانه المؤمنين أن ينفقوا من طيبات كسبهم، ونهاهم عن الإنفاق من خبائث أموالهم ، فعاتبهم قائلاً " ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه" أي والحال أنكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت من الأوقات إلا أن تغمضوا فيه"[١].

والغمض: " إطباق الجفن لما يعرض من النوم. يقال : غمض عينه وأغمضها، ويستعار للتغافل والتسامح"[٢]. " لأن الإنسان إذا رأى ما يكره أغمض عينيه لئلا يرى ذلك، ثم كثر حتى جعل كل تجاوز ومساهلة في البيع إغماضاً"[٣].

والمعنى: إلا أن تتساهلوا فيه تساهل من أغمض عينيه عنه فلم ير العيب فيه ، ولن يرضى ذلك لنفسه أحد إلا وهو يرى أنه مغبون مغموص الحق[٤].

وهو مثل يضرب للتساهل في الأمر ، يقال : أغمض فلان عن كذا أي تساهل فيه.

وهي صورة شائعة الاستعمال، فقد يعزم المرء على فعل الشيء، فيشير إليه آخر مغمضاً عينيه إغماضة مع تحريك رأس ، لتكون رسالة اتصالية توحي إليه أن يتساهل ولا يتشدد.

جـ. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الإسراء:٢٩].

وهذا مثل ضربه الله لحال المفرِط والمفرِّط، جرياً على قاعدة " لا إفراط ولا تفريط". " والتعبير هنا يجري على طريقة التصوير ، فيرسم البخل يداً مغلولة إلى العنق، ويرسم الإسراف يداً مبسوطة لا تمسك شيئاً. ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قعدة كقعدة الملوم المحسور. والحسير في اللغة : الإعياء والتعب، يقال: حَسِرت الدابة والناقة واستحسرت:

---

[١] الشوكاني ، فتح القدير ٤٩٠/١

[٢] الشهاب، حاشية الشهاب ١٤/٢

[٣] ابن الحنبلي، اللباب ٤١٤/٤

[٤] رضا ، المنار ٦١/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أعيت وكلّت. وأصل الحَسْـر الكشط، يقال: حَسَر الشيء عن الشيء يحسُره ويحسِره حَـسراً وحسوراً فانحسر: كشطه فانكشط[١].

ويعد هذا ضرباً من ضروب الاستعارة، فهي استعارة محسوس لمعقول. فقد اسـتعار الغل الذي هو ضم اليد إلى العنق ليمتنع من تصرف يده وإجالتها حيث تريد، استعاره للبخـل الذي هو معنى قائم بالإنسان يمنعه من التصرف في ماله.

وكذلك استعار بسط اليد للسرف الذي يذهب بالمال ، وذلك أن قبض اليد يحـبس مـا فيهـا وبسطها يذهب ما فيها[٢].

ولا يخفى على القارئ الكريم أن الآيات وإن خوطب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن المعني بها أمته، إذ لم يعهد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قارب هاتين الصفتين ، فيوجه الخطاب له ، بل المعلوم يقيناً أن رسول اله صلى الله عليه وسلم كان القدوة في تعليم الأمة كيفية التصرف في المال، متخذاً منهجه من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾ [الفرقان:٦٧].

د. قال تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴾ [الرعد:١٤].

وهذا مثل آخر يرسم فيه القرآن صورة مستوحاة من لغة الجسم، ليجسد بطلان نفـع الآلهة التي يدعونها من دون الله. فقد شبه الله سبحانه وتعالى حال أولئك الكفرة الذين ينصبّون على آلهتهم يدعونها وهم في أمس الحاجة إلى العون، معتقدين قدرتها علـى دفـع المـضرة وجلب المصلحة، والحال أنها لا تستطيع نفع نفسها ولا ضرها، لأنها أصنام لا تـشعر بمـن يخاطبها ولا بحاجته، ولا تقدر أن تجيب دعاء، بحال رجل قد أحرق العطش كبده، فبسط كفيه نحو الماء يطلب منه أن يبلغ فاه، وينفعه من احتراق كبده. ولكن الماء لا يصل إليه لأنه جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه[٣].

---

[١] انظر ابن منظور، لسان العرب ١٦٨/٣.

[٢] انظر غير مأمور أبو حيان، البحر المحيط ٤٢/٧.

[٣] انظر الكشاف ، الزمخشري ٥٠١/٢- البروسوي، روح البيان ٤٥٥/٤- ابن عطية، المحرر الوجيز ١٥٠/٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد تبين لنا من خلال هذه الأمثلة الأربعة كيف ساهمت لغة الجسم في تجسيد الصفات المعنوية والصور البيانية. ففي المثال الأول كانت حركة اليد مثلاً للطرح والترك، وفي المثال الثاني كانت حركة العين إيماءة التساهل في الأمر، وفي المثال الثالث كانت حركة اليد مغلولة إلى العنق رمزاً للبخل، وحركة الكف مبسوطة رمزاً للسرف، وفي المثال الرابع كانت صورة حركة اليد الدانية إلى الفم المتجهة نحو الماء ولم تبلغه، الصورة الأبهى التي تهدم عقيدة الشرك.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع: تطبيق الحدود الشرعية وأثرها كلغة اتصالية في المجتمع:

وردت في القرآن الكريم نصوص شرعية تعد قوانين في الدولة الإسلامية، توجب على الحاكم تنفيذها كعقوبة لجرائم محددة تسمى حدوداً.

فالحد: هو العقوبة المقدرة حقاً لله تعالى[١]، ولا يجوز إسقاطها إذا رفعت للحاكم. وتعد عملية إقامة الحد –عقوبة على هذه الجريمة– رسالة اتصالية لها آثارها على أكثر من مستقبل:

فهي رسالة زجر للجاني تنهاه عن الوقوع في المعصية مرة أخرى. والمجني عليه، يشفي غيظه فلا يقع في مغبة الانتقام للذات. وأما ضعاف النفوس فهي رسالة مؤثرة ، لا تمنعهم من ارتكاب الجريمة فحسب، بل التفكير فيها. ولهذا شُرع إظهار إقامة الحد بل وأُمرنا بذلك في بعضها كجريمة الزنا. وأما المجتمع، فيسوده الأمن والرخاء وتنتشر فيه الفضيلة والأخلاق الحسنة والطمأنينة أن هناك رادعاً للجاني.

وقد وردت بعض العقوبات لبعض الجرائم نذكرها بإيجاز:

أ. جريمة الزنا: قال تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور:٢].

اتفق الفقهاء على أن هذا الحد المذكور للبكر. أما الثيب فحده الرجم حتى الموت ، واختلفوا في التغريب[٢].

---

[١] انظر محمود، فقه العقوبات ص١٣ و عكاز، فلسفة العقوبة ص٦٧.

[٢] الفيتوري، فقه العقوبات الحدية ص٥٠٢.

ولعل سائلاً يسأل : لماذا كانت العقوبة قاسية لهذا الحد؟ ، فنجيبه: إن أهم ميزة للعقوبة هي مدى فاعليتها في مقاومة الجرائم الخطيرة ، فإذا اتصفت بتناسبها مع الجريمة ، ومدى الأذى الذي ألحقته، واتفقت مع العقل والمنطق، كانت الحل الأمثل للقضاء على الجريمة.

والجدير بالذكر أن الإسلام لا يأمر بتطبيق العقوبة إلا بعد تطهير المجتمع من مقدمات الجريمة، وبث روح الإيمان ، وزرع الرقابة الإلهية في النفوس. فبعد كل هذه الاحتياطات الوقائية تعد النفس الجانحة للجريمة عنصراً للفساد والانحراف يجب تطهيره أو تنقية المجتمع منه حتى لا يتعدى أذاه إلى غيره. والإسلام ليس متعطشاً لإقامة الحدود، بل أمر بدرئها ما استطاع، ولأدن شبهة، بالإضافة إلى التشديد في الشهادة عليها وإيصال عدد الشهود إلى أربعة، وهذا أمر يصعب حصوله كثيراً.

لذا فإن عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، ذلك العصر الذي كان نموذجاً لتطبيق الحدود وإيجاد المجتمع الفاضل ، لم يشهد إلا حالتين لجريمة الزنا، أمر النبي صلى الله عليه وسلم – باعتباره حاكماً – بإقامة الحد عليهم طلباً منهم لذلك ، تنقية لأنفسهم من درن المعصية ، ورغبة في التوبة والرجوع إلى الله. بينما نجد بعض الدول الراعية لحقوق الإنسان ، والتي تعترض على مثل هذه القوانين وتصفها بالقاسية المنافية لحقوق الإنسان، نجدها تخفف القوانين بدعواها لتناسب حقوق الإنسان ، وإذا بالواقع يعكس فشل هذه الرأفة ، ففي التقرير الذي صرحت به وكالة رويتر والمنسوب إلى وزارة العدل الأمريكية بلغت عدد الجرائم التي ارتكبت في الولايات المتحدة الأمريكية زاد عن ٣٥مليوناً خلال عام ١٩٩١م. وساهمت في ذلك موجة من جرائم العنف كالاغتصاب والتعديات البدنية. (فقه العقوبات الحدية ص٧٧٨). ==

قلت: فأيهما أكثر مراعاة لحقوق الإنسان أن تطبق عقوبة قاسية على بضعة أفراد من المجتمع يطهر بها ، أم أن يتعدى أثر الجريمة إلى أكثر من ٣٥ مليوناً ويتهدد أمن المجتمع وسلمه؟!.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويستقبل المشاهد لإقامة هذا الحد رسالة واضحة، رادعة زاجرة ، باعثة الطمأنينة في المجتمع على أعراضهم.

ب. جريمة القذف:

والقذف : رمي مكلف محصن بالزنا أو نفي النسب[١]، وعقوبته جلده ثمانين جلدة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤ ﴾ [النور:٤].

ولجريمة القذف خطر كبير ،"فإنّ ترك ألسنة تلقي التهم على المحصنات بدون دليل قاطع، يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً ، بتلك التهمة النكراء، ثم يمضي آمناً ، فتصبح الجماعة وتمسي وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة، وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام. وكل زوج فيها شاك في زوجه، وكل رجل فيها شاك في أصله ، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار"[٢].

ولعل علة كون العقوبة الجلد ، أن القاذف إذا ألقى كلمته كانت سوطاً لاذعاً في سمعة المقذوف، ويجعلها عرضة لتتقاذفها أسواط ألسنة الناس. فناسب الجلد ليذوق وبال سياط كلمته – والله أعلم–.

جـ. جريمة السرقة :

نص القرآن على أن عقوبتها قطع اليد. قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ ﴾ [المائدة:٣٨].

واتفق الفقهاء أن أول ما يقطع منه يده اليمنى من مفصل الكف، وإذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى، وهو قول الجماعة. فإن سرق بعد ذلك فهناك خلاف بين الفقهاء في قطع عضو آخر أو الحبس[٣]. وتعتبر هذه العقوبة رسالة اتصالية مؤثرة في المجتمع كله صادرة عن الجاني تحذيراً وترهيباً[٤].

---

[١] الإحصان: هو أن يحمي الشيء ويمنع منه، والمحصنات من النساء : ذوات الأزواج لأن الأزواج أحصنوهن. والمحصنات : الحرائر وإن لم يكن متزوجات، لأن الحرة تُحصَن وتُحصِن (ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ص٥١١).

[٢] قطب ، الظلال ٢٤٩٠/٤

[٣] عكاز، فلسفة العقوبة ص١٢٣

[٤] وليس هذا الموطن موطن فلسفة لهذه العقوبة ودحض الشبهات القائمة عليها. ولمزيد من التفصيل راجع : قطب ، الظلال ٨٨٢/٢ وعكاز، فلسفة العقوبة ص١٢٠ وما بعدها، وغيرها من الكتب.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

د. جريمة الحرابة : وهي الخروج لأخذ المال على سبيل المغالبة إذا أدى ذلك إلى إخافة الطريق أو أخذ المال أو قتل إنسان[١]. وتسمى " قطع الطريق" و" السرقة الكبرى"[٢].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾ [المائدة:٣٣].

يذكر الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: إذا حارب فقتل فعليه القتل إذا ظُهر عليه قبل توبته. وإذا حارب وأخذ المال وقتل فعليه الصلب إن ظُهر عليه قبل توبته. وإذا حارب وأخذ ولم يقتل فعليه قطع اليد والرجل من خلاف، إن ظُهر عليه قبل توبته. وإذا حارب وأخاف السبيل فإنماعليه النفي[٣].

وبهذا يتبين لنا أن لغة الجسم أسهمت كثيراً في بث الأمن والرخاء في المجتمعات من خلال تطبيق الحدود.

---

[١] عكاز، فلسفة العقوبة ص١٢٠

[٢] الفيتوري، فقه العقوبة الحدية ص٤٣٧.

[٣] الطبري ، جامع البيان ٦/٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس: عرض سمات المسلم من حيث لغة الجسم التي يجب أن يتحلى بها، والسمات السلبية التي يجب اجتنابها:

فقد أظهر القرآن الكريم سمات الشخصية الإسلامية ، وبين السمات التي يجب اجتنابها، لتكون صورة عملية للدعوة، من خلال لغة الجسم.

ولما كان هذا الموضوع بالغ الأهمية في دعوتنا المعاصرة ، ونظراً لأنه تطبيق عملي لنموذج الاتصال الإسلامي ، فسأفرد له الفصل القادم ، تفصيلاً لمفردات هذه السمات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الرابع

سمات الشخصية الإسلامية من خلال لغة الجسم

ويضم المباحث التالية:

المبحث الأول : نموذج الاتصال الإسلامي

المبحث الثاني: إيماءات الوجه

المبحث الثالث: السمع

المبحث الرابع: رسالة قرائن اللفظ

المبحث الخامس: هيئة المشي

المبحث السادس : اللباس

المبحث السابع : العبادة وأثرها في رسم سمات الشخصية الدعوية

المبحث الثامن: الهيئة العامة للشخصية الدعوية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيد:

نص القرآن الكريم على أن الإنسان مستخلف لإقامة العدل في الأرض. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة:٣٠]. وقد رسم له المنهج الكامل الذي ييسر له هذه المهمة. ولم يقف هذا المنهج عند قوانين نظرية أو قواعد علمية ، بل وضح له كل خطوة يخطوها في سبيل تحقيق قواعد هذا المنهج.

اهتم القرآن الكريم بإبراز ملامح الشخصية الإسلامية التي تسير في درب هذا المنهج، لما لهذه السمات والملامح من أثر في عكس روح المنهج في أثر تطبيقي ظاهر للعيان. والذي يتتبع الآيات القرآنية يلاحظ جلياً طريقة عرض هذه الملامح والسمات، وكأن ريشة قد بُعثت من مدادها ترسم ملامح العدل وسمات الخُلق الرفيع. فبدت صورة بهية تتلألأ بهاءً، تعلن صدق هذا المنهج وفعاليته في توطيد معالم العدل في العالم.

ولما غاب مفهوم القدوة في عالمنا المعاصر.. القدوة التي تتمتع بسمات الشخصية الإسلامية، أمسى الناس في ظلمة تحجبهم عن نور القرآن ، ذلك لما لسمات هذه الشخصية من أثر في إبراز نور القرآن الكريم.

ونظراً لما تقدم، أحببت في هذا الفصل أن أعرض سمات الشخصية القرآنية ، مبيناً أثرها على المجتمع والأفراد بما يصدر عن المسلم من رسائل اتصالية تعكس منهجه. وأقدم قبل ذلك نموذج الاتصال الإسلامي الذي يوضح آلية انتقال الرسالة من ملامح وسمات المسلم - باعتباره مرسِلاً-، وأثر هذه الملامح على المستقبِل في تغيير معلوماته أو مشاعره أو اتجاهاته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول : نموذج الاتصال الإسلامي:

تقدم في الفصل الأول أن النموذج يوضح آلية انتقال الرسالة من النقطة (أ) إلى النقطة (ب)، متضمناً العناصر والمعوقات الداخلة في عملية الاتصال. وقد قدم د. إبراهيم أبو عرقوب[١] نموذج الاتصال الإسلامي الذي يوضح فيه عملية انتقال الأوامر الإلهية والتشريع إلى الناس (شكل ٤-١).

يظهر لنا من خلال النموذج أن الله سبحانه وتعالى (المرسل)، يرسل الأوامر الإلهية، وهي النصوص القرآنية التي تمثل الرسالة في نموذج الاتصال إلى الناس كافة (المستقبل)، بوساطة الرسول صلى الله عليه وسلم (الوسيلة)، فتكون الاستجابة والتأثير.

وقد اهتم القرآن الكريم بتصوير لغة الجسم التي ترسم سمات الشخصية الإسلامية. ليس تصويراً بالكلمات فحسب، بل تجسيداً لهذه الكلمات على شخص الرسول صلى الله عليه وسلم. لذا أرى أن عملية انتقال الرسائل التي ترسم لغة الجسم تمر عبر مرحلتين:

المرحلة الأولى : التي تنتقل فيها لغة الجسم كنصوص نظرية يرسمها القرآن الكريم، ويوصلها الرسول صلى الله عليه وسلم كنص نظري للناس باعتباره مبلغاً، ويمثلها الشكل (٤-٢).

وأما المرحلة الثانية: فتنتقل فيها لغة الجسم كسلوك تطبيقي يتجسد في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ليصبح هو المرسل لهذه الرسائل، ويمثلها الشكل (٤-٣).

يبين الشكل (٤-٢) أن الله سبحانه وتعالى يرسل رسالة إلى النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره مستقبلاً، عبر الوحي جبريل عليه السلام (الوسيلة). هذه الرساله تضم النصوص القرآنية التي ترسم لغة جسم المسلم. الرسول صلى الله عليه وسلم يستجيب لهذه النصوص استجابة إيجابية كونه معصوماً عن العصيان، فيتأثر بهذه الرسائل لتنعكس سلوكاً على أعضاء جسمه وجوارحه.

ولما كان أثر لغة الجسم -كرسالة اتصالية- يعظم عند عرضها عملياً، اقتضى ذلك أن تتجسد النصوص النظرية سمات وصفات عملية على شخصه صلى الله عليه وسلم، لينتقل من كونه مستقبلاً ليصبح مرسلاً، يرسل رسالة لغة الجسم التي تعكس منهج القرآن في رسم الشخصية الدعوية عبر الإيماءات والملامح والأفعال، ليستقبلها الناس جميعاً عبر وسيلة الحواس فتحصل الاستجابة والتأثير (الشكل٤-٣).

---

[١] إبراهيم أبو عرقوب، الاتصال الإنساني ص٧٢

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكل ٤-١

نموذج الاتصال الإسلامي

Islamic Communication Model

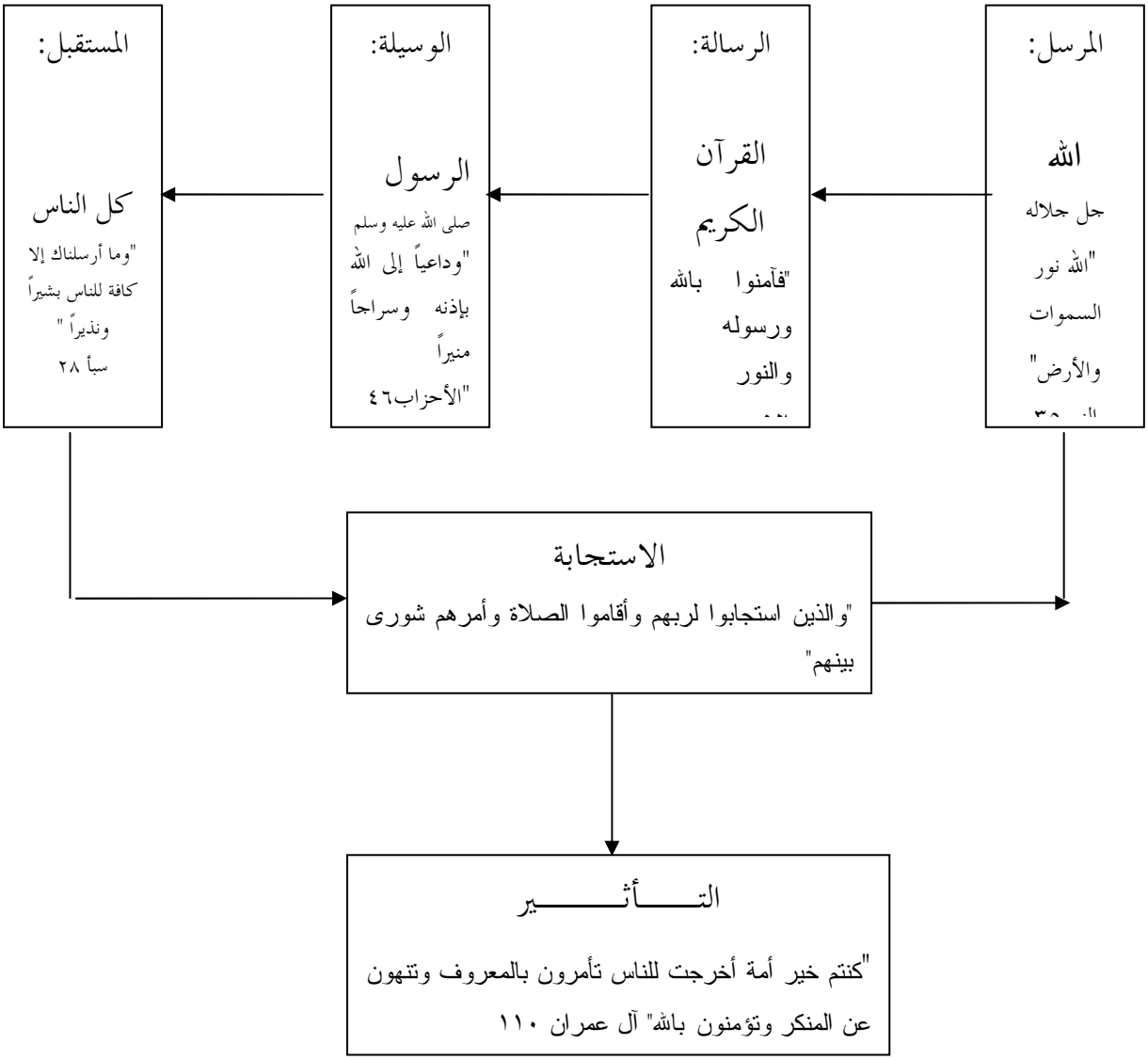

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكل ٤-٢

نموذج اتصال يبين عملية انتقال الرسالة من الله سبحانه وتعالى

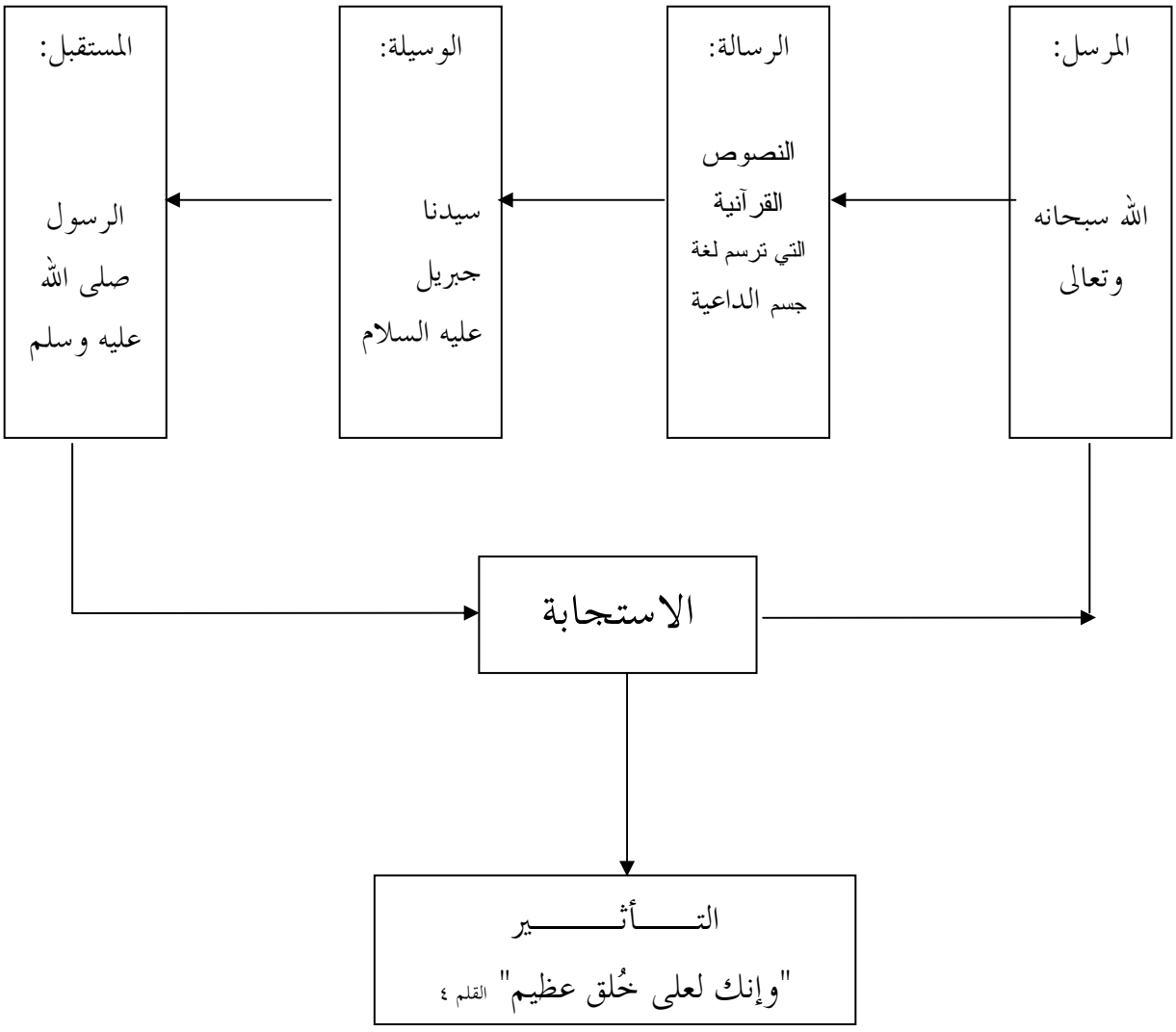

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكل ٤-٣

نموذج اتصال يمثل عملية انتقال الإيماءات الصادرة عن الرسول

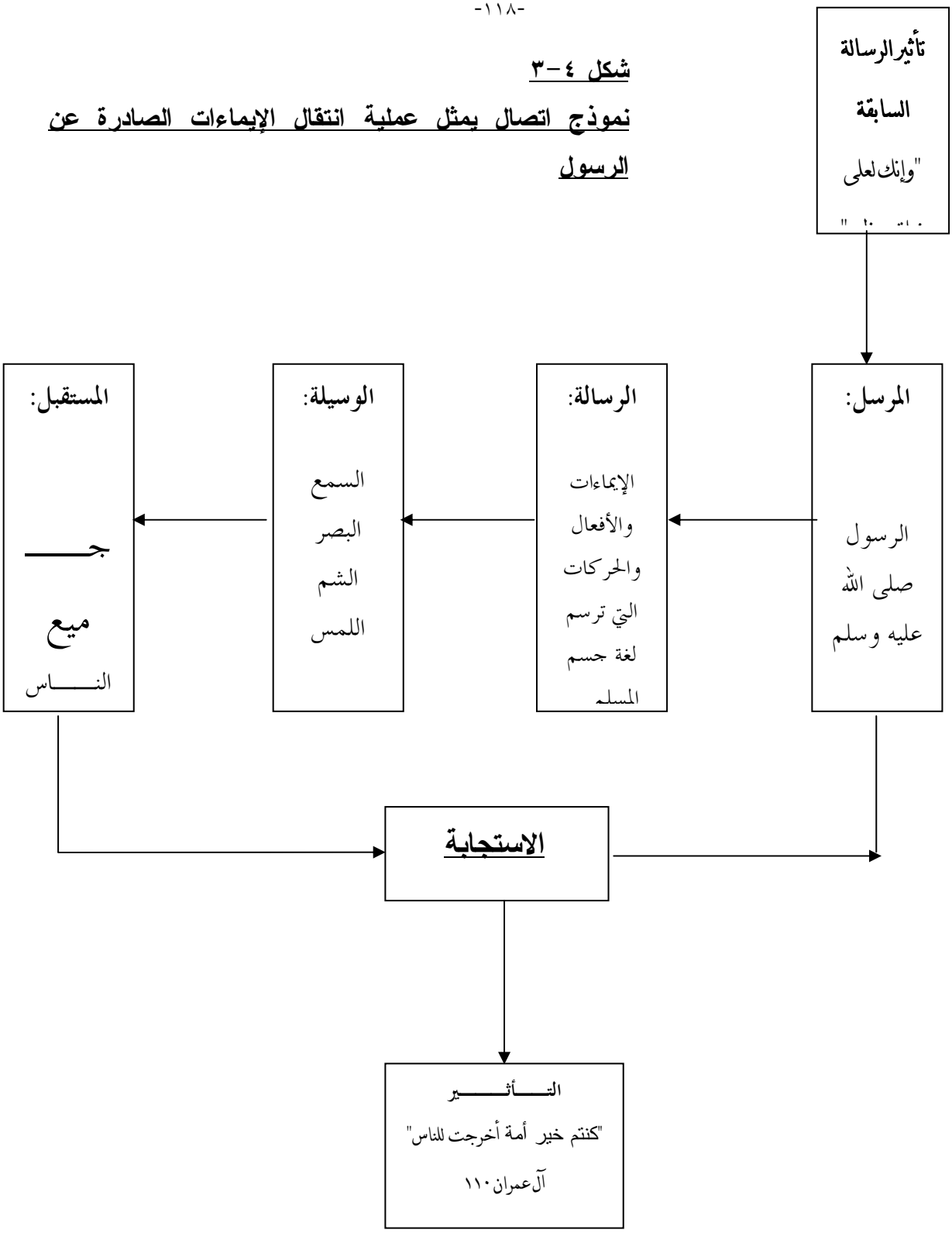

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فإن سأل سائل: هلاّ اكتفيت بالنموذج الأول، واعتبرت الرسول صلى الله عليه وسلم هو الوسيلة العملية في نقل الرسالة؟

قلت: قد يقرأ قارئٌ الآية القرآنية -التي أظهرت لغة الجسم- فيحصل على رسالة واضحة ترسم لغة الجسم للشخصية الدعوية. ولكن قد تكون الرسالة صادرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تطبيقاً منه للنص القرآني وتجسيداً له في شخصه. فطريقة الحصول على هذه الرسالة من جهتين: الأولى هي الآية القرآنية، ويكون فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مبلّغاً فحسب، فلا يتعرض لما يصدر عنه من إيماءات وأفعال. والثانية: يكون فيها الرسول صلى الله عليه وسلم مرسلاً للغة الجسم عبر رسائل (إيماءات، حركات، أفعال)، عاكساً الأثر الذي تلقاه من منهج القرآن في رسم شخصيته، وينطبق ذلك على كل داعية يحمل رسالة التبليغ بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: إيماءات الوجه:

يعد الوجه الجزء الرئيس في إظهار المشاعر الوجدانية. ذلك لاحتوائه الأعضاء الأهم في عملية الاتصال: فالعينان والحاجبان وعضلات الوجه ، والفم والأنف واللسان، تبرز كثيراً من سمات شخصية الفرد.

ولما كان النص القرآني يركز على هذه العناصر باعتبارها من أهم عناصر الاتصال، فقد رسم للشخصية الإسلامية إيماءات عامة لهذه الأعضاء، لكي تعكس الرؤية القرآنية لصفات المسلم الذي يحمل هذه الرسالة، لأنه القدوة في المجتمع.

المطلب الأول : إيماءة غض البصر:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور:٣٠].

تعد العين من أبرز وسائل الاتصال فعالية في نقل الصور التي تزودنا بمعلومات تغير شيئاً من مشاعرنا واتجاهاتنا. "وكلما كان الفرد مركزاً ومنتبهاً ومدققاً في الصور التي أمامه، جاء حفظها في الذاكرة مطابقاً للصورة الحقيقية ومعبراً عنها. أما إذا كان مشتتاً وشارداً جاءت الصورة المنقولة ضعيفة ومشوشة"[١].

ولما كان لهذه المعلومات الأثر الأكبر في رسم إطار الشخصية الإنسانية، منع القرآن هذا النظر أن ينقل معلومات تعزز الصفات السلبية في هذه الشخصية. فأمر الله سبحانه وتعالى المؤمن أن يقطع عملية الاتصال إذا كان الهدف منها سلبياً.

---

[١] حسن، مهارات الاتصال ص١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وها هي الآية ترسم الإيماءة الأولى التي يجب أن يتحلى بها المسلم.

فالغض: " صرف الفرد بصره عن التحديق وتثبيت النظر. ويكون من الحياء، فعادة الغض تفيد معنى الخفض والنقص"[١]. والبصر هو الباب الأكبر للقلب، وأوسع طرق الحواس إليه. وبسبب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه"[٢].

ولما كان النظر يصعب ضبطه مطلقاً، لأنه ضرورة ملحة للقيام بمهام الحياة، فقد جاء التعبير القرآني مقيِّداً العين عن النظر إلى ما يُحدث ضرر الشهوة، فقال تعالى: "من أبصارهم". و"من" للتبعيض، وذلك أن أول نظرة لا يملكها الإنسان، وكذلك يحتاج في بعض الأحيان للنظر كالأخذ والإعطاء، والشهادة وغيرها، فجاء التقييد بـ" مِن".

وتعد العين (وسيلة) في نموذج الاتصال المذكور، فهي التي تنقل المعلومة (الرسالة) إلى الشخص (المستقبل) لتحدث فيه استجابة وتأثيراً. ولكن الإيماءة التي تصدر عن العين، تحول العين من كونها وسيلة لتصبح رسالة في نموذج آخر. فهذه الإيماءة هي الرسالة التي يصدرها المسلم (المرسل) ويتلقاها المستقبل عبر الحواس (الوسيلة). لتحدث الاستجابة والتغيير.

وفي الوقت ذاته فإن الرقابة الإلهية لازمة لاستمرار إصدار هذه الرسالة. يقول تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر:١٩]. أي أنه "يعلم سبحانه استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب"[٣]. فيبقى المرسل المسلم مستشعراً هذه الرقابة، لتصبح عنصراً من عناصر الاتصال توجه إيماءات المرسل لتخدم النظرية الأخلاقية القرآنية. ولهذه الرسالة أكبر الأثر عند المستقبل على اختلاف موقعه.

فهي رسالة اتصالية تزودنا بمعلومات تفيد التزام المرسل بالآداب الرفيعة والأخلاق العالية التي ترسمها المنظومة القرآنية.

وهي رسالة اتصالية تفيدنا معلومات تشعرنا بالطمأنينة والأمان على أعراضنا إذا كانت بالقرب من هذا المرسل، لأنه يترفع عن خدشها بسوء.

وهي رسالة اتصالية تحمل في مضمونها مفهوم القدوة التي تحفّز النفوس للارتقاء إلى مصافّها.

وهي رسالة اتصالية تولد الحب والاحترام والتقدير، ومحاولة التقرب من صاحب هذه الرسالة.

ويمكننا توضيح آلية انتقال هذه الرسالة، خلال النموذج التالي، لتكون تطبيقاً عملياً، تسير الرسائل القادمة على منواله (الشكل ٤-٤).

---

[١] ابن عاشور ، التحرير والتنوير ٢٠٤/١٨.

[٢] ابن عطية، المحرر الوجيز ٤٨٥/١٠.

[٣] الزمخشري، الكشاف ١٥٤/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ملاحظة: تحدث عملية الاتصال -التي تكون الإيماءة هي الرسالة- متزامنة في الوقت نفسه مع عملية اتصال أخرى تكون الرقابة الإلهية من خلال نص الآية هـــي الرســـالة، والمرسل في الاتصال الثاني هو المستقبل للرسالة الأولى.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

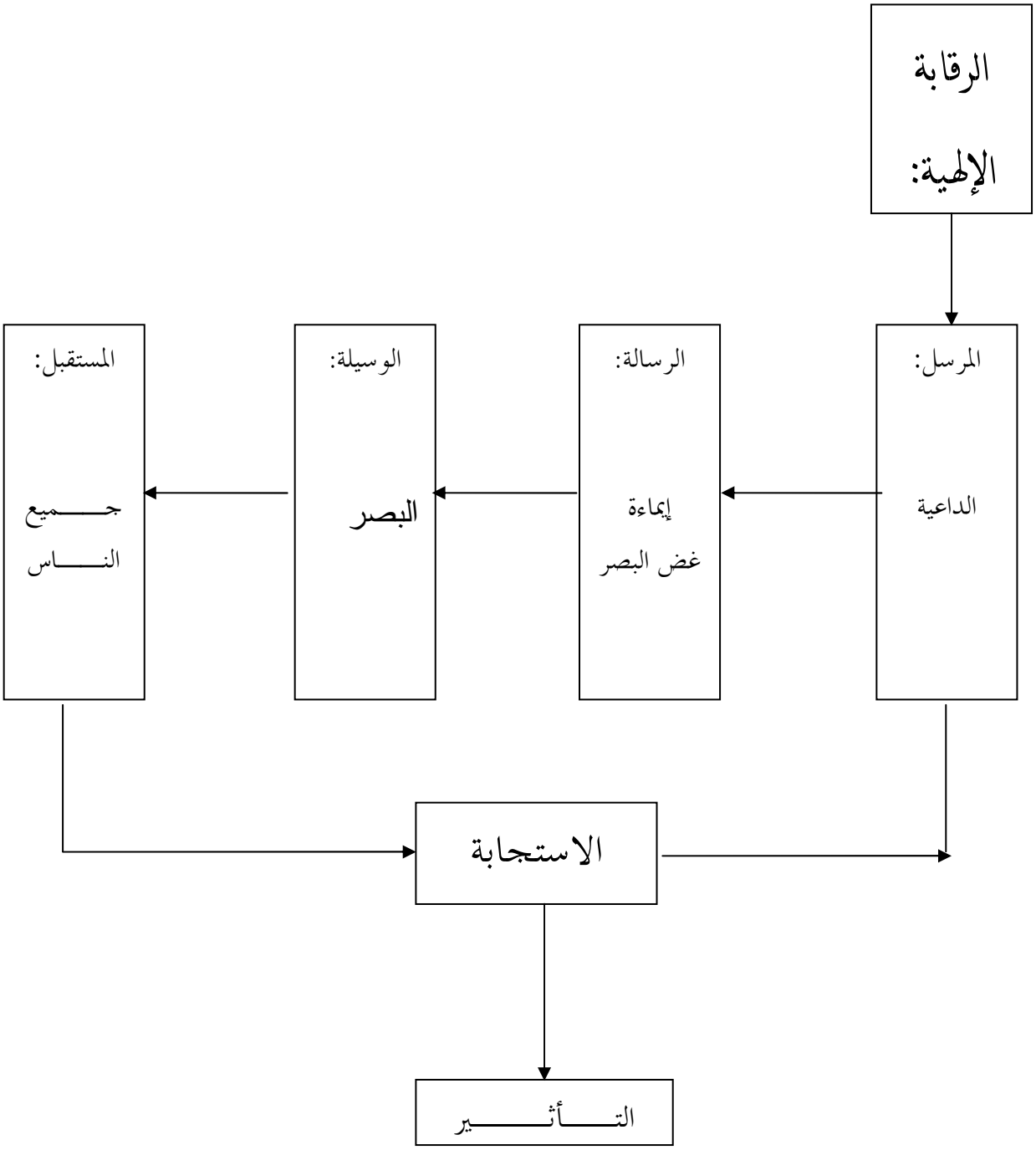

شكل ٤-٤

نموذج اتصال يبين عملية انتقال رسالة غض البصر إلى المستقبلين

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: إيماءة الحرص على متاع الدنيا:

ويرسم النص القرآني إيماءة أخرى لكنها سلبية، ينهى المسلم عن إصدارها.

قال تعالى : ﴿ ا لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر:٨٨]. وقال في سورة طه ﴿ ا وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [طه:١٣١].

فهذه الآية تنهى عن مد البصر وتحديقه إلى شيء من متاع الدنيا.. تلك النظرة والإيماءة التي تفيد الحرص الشديد على نيل هذا المتاع والأسف على فقده.

يقول الإمام الزمخشري: "أي لا تمدن نظر عينيك. ومد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به وتمنياً أن يكون له. كما فعل نظارة قارون حين قالوا: " يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم""[١].

والتعبير القرآني له دلالات عميقة في النفس، "فقوله "لا تمدن عينيك" أبلغ من "ولا تنظر"، لأن الذي يمد بصره إنما يحمله على ذلك حرص مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه"[٢].

وأما سر التعبير بالعين مع أن الذي يمتد هو البصر، فهو ما تسمو به البلاغة القرآنية في تصوير حركات النفس. "فالتعبير التصويري يرسم صورة العين ذاتها ممدودة إلى المتاع. وهي صورة طريفة حين يتصورها المتخيل"[٣].

ولا يخفى علينا بديع الاستعارة التي استخدمها النص. فقد استعار مد العينين الناشئ عن الرغبة الملحة في النفس إلى الانشغال بالدنيا والطمع في ملذاتها، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية[٤].

ويمكننا اعتبارها مجازاً مرسلاً علاقته المحلية. ذكر المحل وأراد الحال، مصوراً شدة شغف النفس بمتاع الدنيا حتى لكأنما العين قد خرجت من مكانها لتلتصق بذلك المتاع، حباً له وطمعاً فيه.

وهذه الرسالة يجب أن لا تصدر عن المسلم، لأن لها دلالات وآثاراً سيئة على شخصيته، فهي رسالة الحرص والطمع وفراغ النفس من معاني الأخلاق، والتي يجب أن يترفع عنها المسلم.

---

[١] الزمخشري، الكشاف ٣/٩٥.

[٢] ابن عطية، المحرر الوجيز ١٠/١١٥.

[٣] قطب ، في ظلال القرآن ٤/٢١٥٤.

[٤] عباس، البلاغة فنونها وأفنانها ٢/٢١٦

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهي رسالة توقع في نفس المستقبل الكراهية والبغضاء لصاحب الرسالة لأنه ينازعهم ممتلكاتهم.

كما توهم المستقبل أن هناك أفعالاً غير مرضية قد تصدر عن المرسل ليحقق فيها شيئاً من مراده، كالحسد مثلاً.

ولكل هذه المعاني التي تصدر عن مثل هذه الرسالة السيئة، منع القرآنُ المسلم أن يرسل مثل هذه الرسالة، ودعاه إلى الاكتفاء بما أعده الله له يوم القيامة من نعيم لا يتصوره عقل ولم تسمع به أذن.

كما أسهم النص في إراحة نفس المسلم، بتصغير قيمة هذا المتاع، فقال سبحانه: ا لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجر:٨٨].

"فعبر عن إتيانها لأهلها بالتمتيع المنبئ عن وشك زوالها عنهم"[١]. فالمتعة مهما عظمت فهي عاجلة زائلة.

المطلب الثالث: إيماءة الكِبر:

الكبر داء سقيم، يزرع البغضاء، ويوحي بالتحقير لبني البشر. ولما كان المسلم مترفعاً عن مثل هذا الداء، فقد نهاه القرآن الكريم أن يدانيه ولو بإيماءة تشير إليه.

قال تعالى: ا وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [لقمان:١٨].

والصَعَر: "داء يصيب الإبل، يقال: أصاب البعير صَعَر وصَيَد إذا أصابه داء فلوى منه عنقه، فيقال للمتكبر فيه صعر وصيد. فأما (تُصعِّر) فعلى وجه المبالغة"[٢].

"لأن المتكبر يميل بخده تكبراً"[٣]، "والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر.. حركة الكبر والازورار وإمالة الخد للناس في تعالٍ واستكبار"[٤].

ويقتضي النص أن يتحلى المسلم بما يخالف هذه الإيماءة المستقبحة، فالمعنى: "أقبل على الناس بوجهك تواضعاً ولا تولّهم وجهك وصفحته، كما يفعل المتكبرون"[٥].

فتصعير الخد رسالة سيئة الأثر على المستقبل، توحي بتكبر واستعلاء. هذا الخلق الذي ينافي الرؤية القرآنية للشخصية الإسلامية، التي جعلت التواضع والإقبال على الناس بسرور رمزاً لدعوتها.

---

[١] أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٤/٣٥.

[٢] الزجاج ، معاني القرآن ٤/١٩٨.

[٣] ابن الحنبلي، اللباب ١٥/٤٥٠.

[٤] قطب ، في ظلال القرآن ٥/٢٧٩٠

[٥] الزمخشري، الكشاف ٣/٤٨٢، وانظر المراغي، تفسير المراغي ٧/٣٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشتان بين رسالة تفرز حقداً وكبراً، تقطّع أواصر المحبة والإخاء والإقبال عليك لسماع دعوتك.. وبين رسالة التواضع والبشر التي تستقطب نفس المستقبل، وتشد مشاعره وتدعوه ليفتح قلبه لكلامك ودعوتك.

وهكذا يتبين لنا حرص القرآن الكريم على صيانة ملامح وسمات الشخصية الإسلامية التي تتشرف بحمل الدعوة من أي شيء ينقص قدرها، وذلك لما لهذه الشخصية من أكبر الأثر في عكس الرسالة العظيمة شكلاً ومضموناً.

المطلب الرابع: سيما الخشوع :

بعدما رسم القرآن إيماءات المسلم المنبعثة من وجهه، جاء ليضع اللمسات الأخيرة على هذه اللوحة الرائقة، تلك اللمسات التي تعكس آثار العبادة والمناجاة والاتصال مع الله سبحانه.. اتصال راغب فيما عنده.. محب لجلاله وقدسه.. مستسلم لأمره ونهيه.

قال تعالى: ﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ [الفتح:٢٩].

يا له من تشريف.. وأنعم به من تكريم.. وسام الإجلال والخشوع.. بل وسام النور المتلألئ من وجوه خضعت لنور الله، فاغترفت منه.

يقول الإمام الطبري عن تلك الثلة التي امتازت عن بقية الخلق بسيما مؤثرة تعكس عظيم خضوعها لله سبحانه: "فكان سيماهم الذي كانوا يُعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته وآثار أداء فرائضه وتطوعه. وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه، والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود"[١].

فهم خاضعون ساجدون راكعون.. استلذت أنفسهم الوقوف مناجين لله.. راغبين فيما عنده.. خائفين من عقابه.. فاصفرت وجوههم.. وبان أثر تمحلهم في التراب ساجدين بين يدي الله.. حتى طبعت الأرض خاتمها معانقاً جبهتهم.. فانعكست آثار عبادتهم على سلوكهم وسمتهم وسحنتهم.. حتى أصبح كل تصرف شاهداً على عبادتهم وإخباتهم لربهم.

ما أجملها من رسالة يرسلها الدعاة لتعكس روح القرآن وبهاء الإسلام، فيسارع الناس للاستجابة لنداء الله، راغبين بالتحلي بما تجمّل به الدعاة، فتصير الإيماءة رسالة دعوية أقوى من فصاحة اللسان، ومن روائع البيان البشري.

---

[١] الطبري، جامع البيان ١٢٩/٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: السمع:

نعمة وهبها الله للإنسان لتكون وسيلة استقبال للرسائل الصوتية الصادرة عن المجتمع المحيط به. وهي في نفس الوقت أمانة مسئول عنها يوم القيامة.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء:٣٦].

ولهذه الوسيلة أثر عظيم على القلب، فهي من أكبر مداخله، تؤثر فيه سلباً وإيجاباً. والمدهش في الأمر أن التحكم بها غير مستطاع ذاتياً كما العين. فإذا لم يعجبك منظر أغمضت عينيك، أما في الأذن –آلة السمع– فهذا الأمر غير ممكن. لذا رسم القرآن لهذه الآلة منهجاً يُتعامل به.. تارة بإخضاع القلب لها لما تجلبه من نفع وفائدة له.. وتارة بإبعادها عن مسرح الاتصال حتى لا تنقل إلى القلب ما يشوش صفوه ويعكر إيمانه.

المطلب الأول : إيماءة الإعراض عن اللغو:

قال تعالى في شأن الذين آمنوا من أهل الكتاب: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٥].

وقال تعالى واصفاً عباد الرحمن: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ [الفرقان:٧٢].

"واللغو: ما حقه أن يُلغى ويترك من العبث وسخف القول"[١]. وقولهم: "سلام عليكم": "ليس سلام تحية"[٢]، بل "سلام المتاركة والتوديع"[٣]. فهو قول بلسان الحال وليس المقال، تعبر عنه لغة الجسم، فيترفعوا عن مخالطتهم والجلوس معهم.

وهذه رسالة ترسم سمو الخلق الذي ارتقى به هؤلاء الموصوفون بهذه الصفة، فلم يرتضوا لأنفسهم أن يفقدوها شيئاً من عزة أخلاقها بمخالطتهم وسماعهم للاغين، فاستحقوا وصف الكرام.

وهي رسالة تورث درساً عظيماً للاغين، يستفيد منه بعضهم فيستجيب لهذه الرسالة فيعرض عن لغوه. وأما الصنف المُصرّ على اللغو فتورثه حسرة وألماً، لأنه لم يرتق لمصاف المعرضين، ولم يرتض المعرضون أن يشاركوه لغوه.

---

[١] المراغي، تفسير المراغي ١٨١/٧.

[٢] الشوكاني، فتح القدير ٢٣٥/٤.

[٣] الزمخشري، الكشاف ٤٠٨/٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: الاستماع والإنصات:

وإذا أُمر المسلم أن يحمي سمعه من دنس اللغو، فهو مدعو أن يطرب سمعه بما يصفو به قلبه من آيات الله سبحانه، ويخبت به فؤاده إصغاءً وإنصاتاً ، ليفيض الإيمان من القلب إلى الجوارح.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠٤]

"والفرق بين الاستماع والإنصات: إن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه. وأما الاستماع له: فهو أن يلقي سمعه ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع"[١].

والمعنى: "استمعوا له استماع تحقيق وقبول، وأنصتوا: أي اسكتوا في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيماً له وتكميلاً للاستماع"[٢].

"والإنصات يتم عن طريق الأذن، وهو يعتمد على الكلمات والصوت ومستوى النبرات المستخدمة. أما الاستماع فيتم عن طريق العقل حيث يقوم باستقبال الرسالة من خلال الأذن، فيستخلص ويدرك المعاني التي يقصدها المتحدث أو المرسل بعد تحليل العلاقة بين التعبيرات اللفظية وغير اللفظية التي يؤديها المتحدث"[٣] .

ورسالة الاستماع والإنصات توحي بالاحترام والتقديس للنص المسموع، وتعكس مدى تفاعل النفس معه. وهي رسالة ترسم حالة الاتصال الفعال بين روح النص القرآني وروح المؤمن المصغي.

ثم يصدر المسلم إيماءة أخرى تجسد حالة التفاعل الإيماني بين القرآن والنفس.. إيماءة غير متكلفة ولا مبتذلة.. بل تصدر استجابة لا إرادية لحالة الاستماع والإنصات أو التلاوة.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر:٢٣].

"يقال: اقشعر جلده من الخوف: وقف شعره. وهو مثل في شدة الخوف"[٤].

ولعل قشعريرة الجلد لا تقف عند حالة الخوف بل هي حالة تهيج نفسي، تنفعل فيه النفس لتصل إلى مرحلة الذروة، فتنعكس قشعريرة على ا لجلد عند حالة الخوف أو البرد أو شدة التأثر بموقف ما.

---

[١] السعدي، تيسير الكريم المنان ١٩٢/٢. يقول ابن فارس في باب سمع: السين والميم والعين، أصل واحد وهو إيناس الشيء بالأذن. ١٠٢/٣، ويقول في باب نصت: النون والصاد والتاء كلمة واحدة تدل على السكوت ٤٣٤/٥. معجم مقاييس اللغة.

[٢] أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٧٢/٣.

[٣] حسن، مهارات الاتصال ص١١٨.

[٤] الزمخشري، الكشاف ١١٩/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول سيد قطب: "والذين يخشون ربهم ويتقونه ويعيشون في حذر وخشية.. وفي تطلع ورجاء يتلقون هذا الذكر في وجل وارتعاش.. وفي تأثر شديد.. تقشعر منه الجلود.. ثم تهدأ نفوسهم وتأنس قلوبهم بهذا الذكر فتلين جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله"[١].

وهذه صورة أخرى تتجلى فيها أرقى مقامات الاستجابة للنص القرآني المنزل.
قال تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء:١٠٧].
وقال: ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم:٥٨].
وأي قدسية هذه التي تملك زمام القلوب.. فتخضع لعظمتها الجوارح.. العين ذارفة.. والقلوب خاشعة.. والجباه ساجدة.. تأثراً بعظمة المسموع... نعم ، إنها قدسية القرآن.
"ويخرون : أي يسقطون على وجوههم تعظيماً لأمر الله"[٢]، باكين، "ترتعش وجداناتهم حين تتلى عليهم آياته، فلا تسعفهم الكلمات للتعبير عما يخالج مشاعرهم من التأثر، فتفيض عيونهم بالدموع"[٣].
وأي رسالة أعظم من هذه توحي بالهالة القدسية للنص القرآني عند المسلم، وأثره في النفس، لأنه منزل من عند خالقها وصانعها وعالم أسرارها.
وهي رسالة موحية بقوة الاتصال الفعال ما بين المنهج النظري للدعوة، والمنهج العملي المتجسد في حركات وأفعال المسلم.. ففيها أعظم الدلالة على أن سلوك المسلم منبعث من روح كتابه وآيات قرآنه.

وفيما تم عرضه كفاية في اتخاذه منهجاً للاستماع يتعامل به المسلم مع البيئة المحيطة به، فيذلل سمعه لكل خير " الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه"، ويُعرض بسمعه عن كل لغو وشر.

المبحث الرابع: رسالة قرائن اللفظ:

---

[١] قطب، في ظلال القرآن ٣٠٤٨/٥.
[٢] البيضاوي، أنوار التنزيل ٢٦٩/٣. والخر: هو اضطراب وسقوط مع صوت (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١٤٩/٢).
[٣] قطب، في ظلال القرآن ٢٣١٤/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قد يظن القارئ أن رسالة الصوت ليست من موضوعات بحثنا، وذلك لأنها لغة لفظية، وليست من لغة الجسم. إلا أنني أذكر ما عرضته في الفصل الأول أن لغة قرائن اللفظ هي فرع من فروع لغة الجسم، لأنها تعطي اللفظ دلالة تختلف باختلاف القرينة.

فتعد نبرة الصوت رسالة مؤكدة أو مناقضة للفظ. فلفظة "نعم" مثلاً، إذا خرجت بنبرة معتدلة أفادت الموافقة. أما إذا خرجت بنبرة مستنكرة أفادت النفي مع الإنكار.

كما يعد علو نبرة الصوت وانخفاضه رسالة معبرة في الموقف الاتصالي، تارة إيجاباً وأخرى سلباً. فعلو الصوت كما يدل على الشجاعة قد يدل على سوء الأدب. وانخفاض الصوت، كما يدل على الخوف والجبن، يدل على الاحترام. ومن هنا يظهر أثر البيئة جلياً كعنصر من عناصر عملية الاتصال التي تتم فيها.

وقد ذكر القرآن الكريم بعض نبرات الأصوات في المواقف الاتصالية، تارة آمراً به، وأخرى ناهياً عنه، أذكرها فيما يلي:

المطلب الأول : نبرة الصوت المخفض:

قال تعالى حاكياً وصية لقمان لابنه: ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ [لقمان:١٩].

"ومعنى اغضض: انقص، ومن ذلك غضضت بصري، وفلان يغض بصره من فلان أي يتنقصه"[١]. والأمر بغض الصوت ليس مطلقاً وإنما مخصوص بمواقف اتصالية معينة. يقول المراغي: "ولا ترفع صوتك حين لا يكون إلى ذلك حاجة لأنه أوقر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه"[٢]. ونبرة خفض الصوت رسالة فيها "أدب وثقة بالنفس، واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. وما يزعق[٣] أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب أو شاك في قيمة قوله أو قيمة شخصه، يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق"[٤].

وتشبيه رافع الصوت بالحمار –"الذي هو مثل في الذم البليغ والشتيمة"[٥]–تشبيه منفر أيما تنفير عن هذه الصفة. يقول الزمخشري: "فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه وإخراجه مخرج الاستعارة، مبالغة شديدة في الذم

---

[١] الزجاج، معاني القرآن ٢٧/٣.

[٢] المراغي، تفسير المراغي ٣١٠/٧.

[٣] زعق: أصل صحيح يدل على شدة في صياح أو مرارة أو ملوحة. (ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٨/٣).

[٤] قطب، في ظلال القرآن ٢٧٩٠/٥.

[٥] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٦٧/٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والتهجين وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه، وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان"[١].

ولما أمر القرآن بغض الصوت، أعطى تطبيقاً عملياً لهذه الإيماءة الصوتية من خلال موقف اتصالي.

يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ ﴾ [الحجرات:٢].

وذلك لأن رفع الصوت رسالة موحية "بقلة الاحتشام وترك الاحترام"[٢].

يقول سيد قطب: "والأدب الثاني -في السورة- هو أدبهم مع نبيهم في الحديث والخطاب، وتوقيرهم له في قلوبهم، توقيراً ينعكس على نبراتهم وأصواتهم، ويميز شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم"[٣].

فإذا كان غض الصوت في غير حاجة، مطلوباً شرعاً، فمن باب أولى أن يكون كذلك في مقام مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لأنها رسالة موحية بشدة الاحترام والتوقير له. وينبغي أن ينعكس ذلك على سلوك المسلم في التعامل مع أصحاب الفضل والدين والعلم وحتى مع من يباشرهم دعوته.

المطلب الثاني: نبرة التأفف:

وكما يؤدي ارتفاع وانخفاض نبرة الصوت رسالة معبرة عن معنى من المعاني، فكذلك نبرة التعجب والتأفف. وإذا كان القرآن حريصاً على إثبات الاحترام والتقدير لأهل الفضل، فهو حريص أيضاً على درء ما يخدش هالة الاحترام التي أثبتها، خاصة وإن كان أصحاب الفضل هم الوالدين.

قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ ﴾ [الإسراء:٢٣].

---

[١] الزمخشري، الكشاف ٤٨٣/٣. والاستعارة المذكورة في كلامة هي استعارة تصريحية : استعار صوت نهيق الحمار للصوت العالي الموحي بسوء الأدب بجامع النفور والغلظة والاشمئزاز.

[٢] ابن الحنبلي، اللباب ٥٢٣/١٥.

[٣] قطب، في ظلال ا لقرآن ٣٣٣٩/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

"والأفّ: تكرُّه الشيء، أفَّ يؤفُّ أفَّـاً، إذا تأفف من كرب أو ضجر"[١]. وهـذا النهـي "أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضيق، وما يـشي بالإهانة وسوء الأدب"[٢].

"وجعل الله تعالى هذه اللفظة مثلاً لجميع ما يمكن أن يقابل به الآباء مما يكرهون، فلم تُـرَد هذه اللفظة في نفسها، وإنما هي رمز للأعظم منها والأقل. فهذا هو مفهوم الخطاب الذي يكون فيه حكم المسكوت عنه حكم المذكور"[٣].

"ثم عطف عليه النهي عن نهرهما لئلا يحسب أن ذلك تأديب لصلاحهما ولـيس بـالأذى"[٤]، "والانتهار: إظهار الغضب في الصوت واللفظ"[٥].

وكلمة التأفف ونبرتها رسالة اتصالية تفيد الضجر الذي يعكس سوء الأدب وانحطـاط الخلق عند صاحب هذه الرسالة. وإذا نهى القرآن عن إصدار مثل هذه الرسائل المهينة علـى صغر حجمها، فمن باب أولى النهي عما هو أكبر. فهي مثل لمراعاة الأدب والاحتـرام مـع الوالدين وعدم خدشه حتى ولو بأبسط عبارة، بل نبرة صوت.

فالنبرة التي يصدرها الولد –ذكراً أو أنثى–، والتي يستقبلها أحد الوالدين، تعد رمزاً للمعصية، والتي تؤثر في نفس المستقبل –الوالدين–، فيصدر رسالة تعكس غضبه وعدم رضـاه علـى ولده، الأمر الذي لم يرتضه ربنا تبارك وتعالى، فأنزل أمره بعدم إرسال هذه الرسـالة التـي تسبب غضب الوالد وغضب الرب.

---

[١] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ١٦/١.

[٢] قطب، في ظلال القرآن ٢٢٢١/٤.

[٣] ابن عطية، المحرر الوجيز ٥٦/٩.

[٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير ٧٠/١٥.

[٥] ابن عطية، المحرر الوجيز ٥٦/٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: نبرة الخضوع في القول:

لم يخص القرآن الرجال بالدعوة فحسب، فالمرأة مدرسة الرجال، وجامعة الـدعاة .. تخرّج العلماء والقادة .. وبأنفاسها تنفث روح القدوة.

وحفاظاً على هذه المكانة الرفيعة للمرأة، فقد نهاها عما يمكن أن يخدش رفعتها.

قال تعالى مخاطباً قدوة النساء أمهـات المـؤمنين: ﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب:٣٢].

والخضوع في القول: "مخاطبة الرجال بلين على سنن قول المريبات المومسات"[١]، فإذا حذر القرآنُ أمهات المؤمنين من هذه النبرة على عفتهن وطهارتهن، فغيرهن أولى بالخطاب.

وتمثل هذه الآية نموذجاً اتصالياً كاملاً.. تصدر فيه المرأة نبرة صوتية، تعد رسـالة اتصالية تحرك في صنف من المستقبلين نوازع الشهوة، فيستجيب ويتأثر ويحدث ما لا يحمد عقباه. فجاء النهي عن إصدار مثل هذه الرسالة قطعاً للموقف الاتصالي بكامله، ذلك الموقـف يجلب الشر والدمار.

"فالله سبحانه الذي خلق الرجال والنساء يعلم أن صوت المرأة حين تخضع بالقول، وتترقق في اللفظ، يثير الطمع في قلوب.. ويهيج الفتنة في قلوب.. وأن القلوب المريضة التي تثار وتطمع موجودة في كل عهد"[٢].

ثم أمر الله سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وسلم بقول المعروف، "وهو البعيد عن الريبـة والإطماع"[٣].

وإذا كان الخطاب موجهاً لأمهات المؤمنين، وفي مجتمع الفضيلة، بين ظهراني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فماذا تراه سيكون خطابنا في هذه الأيام، وقد أضحى خضوع المرأة في صوتها عنوان الحضارة والرقي، وصار المجتمع كله في قلبه مرض الشهوة -إلا من رحم الله-.

فجدير بالدعاة، رجالاً ونساءً أن يراعوا هذه الآداب التي حثهم عليها ربنـا سـبحانه وتعالى. مظهرين أدبهم في حركاتهم وأفعالهم وإيماءاتهم فضلاً عن أقوالهم.

المبحث الخامس: هيئة المشي:

---

[١] أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٥/٢٢٤ وانظر الطبري، جامع البيان ٢٢/٦.

[٢] قطب، في ظلال القرآن ٥/٢٨٥٩.

[٣] أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٥/٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعد المشية هيئة معبرة عن الشخصية، فتارة توحي بضعف الشخصية، وأخرى بالتعب، وثالثة بالاتزان، ورابعة بالكبر... .ولما لهذه الحركة من أثر على شخصية الفرد، اهتم القرآن الكريم برسم هذه الحركة في شخصية المسلم، حتى تعكس مضمون رسالته.

المطلب الأول: مشية التواضع والاتزان:

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ [الفرقان:٦٣].

"والهون: الرفق واللين"[١]، "فهم يمشون في سكينة ووقار لا يضربون بأقدامهم كبراً، ولا يخفقون نعالهم أشراً وبطراً"[٢]. وهذه مشية الحلماء المتواضعين يمشون في اقتصاد[٣].

وها هو ذا سيد قطب كعادته، يصور المشية بكلماته المعبرة: "ها هي ذي السمة الأولى من سمات عباد الرحمن أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة ليس فيها تكلف ولا تصنّع، ليس فيها خيلاء ولا تصعير خد، ولا تخلّع ولا ترهل. فالمشية ككل حركة، تعبير عن الشخصية، وعما يستكن فيها من مشاعر" [٤].

وتعد هذه المشية رسالة لها أعظم الدلالة في تصوير شخصية وسلوك صاحبها، فهي موحية بالتواضع والخلق الرفيع، وعدم التكبر على الخلق، بل وتعكس خلجات تلك النفس الرحيمة التي تتلطف بمشيتها شعاراً لرأفتها في كل أمورها.

"وهذا الهون ناشئ عن التواضع لله تعالى والتخلق بآداب النفس العالية وزوال بطر أهل الجاهلية، والتخلق بهذا الخلق مظهر من مظاهر الرحمة المناسبة لعباد الرحمن، لأن الرحمة ضد الشدة، فالهون يناسب ماهيتها وفيه سلامة من صدم المارين"[٥].

وهي رسالة مستقطبة للمستقبل لأنه يشعر بالارتياح مقترباً من صاحب هذه المشية، لأنها مشعرة بالتعقل والهدوء والتواضع.

وقد عبر القرآن بلفظ واصف لها. يقول تعالى حاكياً وصية لقمان لابنه: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾ [لقمان:١٩].

والقصد: العدل بين الأمرين، "أي اعدل حتى يكون مشيك بين مشيين، لا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثب الشطار"[٦].

---

[١] الزمخشري، الكشاف ٢٨٣/٣.

[٢] المراغي، تفسير المراغي ٣٠/٧.

[٣] انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٦٦/٧.

[٤] قطب ، في ظلال القرآن ٢٥٧٧/٥.

[٥] ابن عاشور، التحرير والتنوير ٦٨/١٩.

[٦] الزمخشري، الكشاف ٤٨٢/٣. قلت: ولعل مراده بالشطار قطاع الطرق لأنهم يثبون على المارة وثباً

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهي مشية ليست بالبطيئة المثبطة للهمة، ولا بالسريعة المفرطة، "بل هوناً بلا تصنّع ولا مراءاة للخلق بإظهار التواضع أو التكبر"[١].

المطلب الثاني: مشية المتكبر:

ولمّا بيّن القرآن هيئة المشي اللائقة بالمسلم، حذر من مشية مذمومة عند الله وعند الناس. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء:٣٧]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان:١٨] .

"ومرحاً: متبختراً مختالاً"[٢]. يقول القرطبي: "وهو النشاط والمشي فرحاً في غير شغل، وفي غير حاجة. وأهل هذا الخلق ملازمون للفخر والخيلاء، فالمرح مختال في مشيته"[٣].

فإن قلت: وهل يُنهى عن المشي فرحاً كما عبر عنه القرطبي؟ قلت: الفرح المنهي عنه، الفرح الزائد عن حده والموحي بالكبر والبطر. يقول ابن قتيبة: "الفرح : البطر والأشر، لأن ذلك عن إفراط السرور، قال تعالى : "إن الله لا يحب الفرحين" وقال : "إنه لفرح فخور" "[٤].

وانظر بلاغة القرآن في النص القرآني واصفاً ذلك المتكبر : "إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً": أي " ولا تمش في الأرض مختالاً مستكبراً.. إنك لن تقطع الأرض باختيالك .. ولن تبلغ الجبال طولاً بفخرك وكبرك" [٥].

وهي صورة معبرة، ترسم ذلك المتكبر يتبختر في الأرض.. يظن كل خطوة تخرق قطعة من الأرض موضع قدمه.. وقد جاوز الجبال طولاً بفخره.. وهو واهم تائه.. لا يعلم أنه كلما ازداد فخراً وتيهاً، ازداد دناءة وخسة عند الله وعند الخلق.

وهذه الهيئة التي نهى عنها القرآن، تعد رسالة منفرة من صاحبها، موحية بكبره وخيلائه. تعطي المستقبل معلومات واضحة عن نفسية صاحب الرسالة من التعالي والغرور، مما تجعل المستقبل يصد عنه أيما صدود.

وإذا كان القرآن يضع رسماً واضحاً لمشية الفرد، فقد خص المرأة بصورة مضيئة، تعكس عفتها وطهرها، وذلك من خلال مشيتها.

---

[١] المراغي، تفسير المراغي ٣١٠/٧.

[٢] الزجاج، معاني القرآن ١٩٨/٤.

[٣] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٦٦/٧.

[٤] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ٤٩١.

[٥] الطبري ، جامع البيان ١٠٢/١٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث : مشية العفة:

هذه صورة يلتقطها القرآن لامرأة عفيفة طاهرة، لتكون نموذجاً عملياً يُـقتدى به. وهي تلك المرأة التي جاءت لسيدنا موسى عليه السلام تبلغه دعوة أبيها ليعطيه جزاء صنيعه الحسن في سقاية غنمهما.

قال تعالى: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص:٢٥].

"ومعنى على استحياء: أي مع استحياء، والاستحياء والحياء -بالمد- الحشمة، والانقباض والانزواء. يقال: استحيت بياء واحدة وبياءين"[١]

وهي صورة مشرقة .. تظهر فيها المرأة في أبهى حلتها، وأجمل خُلقها، متزينة بخلق الحياء، وأجْمِل بها من زينة، تفوق في بهجتها زينة الذهب والفضة.

يقول سيد قطب: "وقد جاءته تمشي على استحياء، مشية الطاهرة الفاضلة العفيفة، النظيفة حين تلقى الرجال. على استحياء في غير ما تبذل ولا تبرج ولا تبجح ولا إغواء. جاءته لتنهي إليه دعوة في أقصر لفظ وأخصره وأدله، يحكيه القرآن بقوله: "إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا". فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح ، لا التلجلج والتعثر والربكة، وذلك كذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة. فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها، لا تضطرب الاضطراب الذي يطمع ويغري ويهيج، إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب ولا تزيد"[٢].

ولعل الصورة التي يعرضها سيد -رحمه الله- تظهر الحياء بحلته الإيجابية، حتى لا يقع في نفس الناظر أو السامع ذلك الحياء المذموم الذي يظهر الضعف والخنوع والإطماع للغير.

وهذه الحركة في المشي تعد رسالة طاهرة تدل "على كرم عنصر صاحبها وخلقها الحسن. فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة، خصوصاً في النساء"[٣].

وهي رسالة موحية بالطمأنينة على العرض بما زينت به المرأة نفسها من خلق فاضل.

---

[١] الجمل ، الفتوحات الإلهية ٢١/٦.

[٢] قطب ، في ظلال القرآن ٢٦٨٦/٥.

[٣] السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ١٤/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما وإن هناك أثراً عظيماً للرسالة في نفس المستقبل –إذا كان امرأة–، تدعوها للرقي إلى مصاف المرسلة، لتتزيا بزينة الحياء.

ولا يقف أثر الرسالة على الفرد فحسب، بل يعدو ذلك ليعكس نظافة المجتمع الذي يؤوي مثل هذه النماذج، ليكون ذلك سمواً في سلم الحضارة والرقي. فالإثارة محاربة، والإغواء مقطوعة أوصاله.

المطلب الرابع: مشية الإغواء:

ولما عرض القرآن الصورة المشرقة للمرأة في مشيتها وشخصيتها، حذر من رسالة جسدية تحرك الفساد في المجتمعات. هذه الرسالة قد تصدر عن امرأة تنازلت عن بعض أخلاقها وطهارتها، وطفقت تنشر الرذيلة من خلال مشيتها، متشبهة بأهل الريب من نساء الجاهلية.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور:٣١].

فقد كان بعض نساء الجاهلية يقعقعن خلخالهن إذا مررن بالرجال[١]، ليعلم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من زينة[٢]، "وسماع هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها"[٣]، لأن الخيال يذهب وراءها أيما مذهب.

وهذا النهي ليس نهياً عن إيماءة جسدية فحسب، بل هو قطع لموقع اتصالي كامل، بل مواقف اتصالية متراكمة، تسوق أصحابها إلى درك الفاحشة والرذيلة.

فالرسالة الصادرة عن مثل هذه المرأة، رسالة مهيجة مثيرة لمكامن الشهوة.. رسالة تبث فيها المرأة ميلها لاستقطاب الرجال، فتؤدي الرسالة غرضها على أكمل وجه، فتثور رغائب

الشهوة، وتعصف رياح الإغواء عند المستقبلين. ويبدأ تأثير هذه الرسالة بترك الخيال يسرح طويلاً يرسم صوراً شهوانية لما تخفيه هذه الضربة بالرجل من مفاتن. فيبنى عليها موقف اتصالي آخر يصبح المستقبل فيه مرسلاً، والمرسل مستقبلاً ..وهكذا دواليك، حتى يعم المجتمع اضطراب وعصف شهواني، تضيع فيه القيم، وتمحق فيه الأخلاق. ومبدأ ذلك من رسالة أصدرتها مرسلة خوى قلبها من الإيمان واستحضار عظمة الرحمن. فأمْر القرآن هذه المرأة

---

[١] أبو السعود ، إرشاد العقل السليم ٤٥٣/٤

[٢] انظر الطبري ، جامع البيان ١٤٩/١٨.

[٣] ابن عطية ، المحرر الوجيز ٤٩٤/١٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكف عن مثل هذه الرسائل الإغوائية ليس تشديداً وتقييداً لحريتها، بل صوناً لكرامتها، وحماية للمجتمعات من فتنتها.

المبحث السادس : اللباس:

قد اهتم القرآن الكريم باللباس، ورسم له وصفه وحدّه، بل وبين دلالاته وأثرها على الأفراد والمجتمعات، خاصة ما يتعلق بلباس المرأة.

فقد ذكر القرآن الكريم أن اللباس مِنّة امتنّ الله بها على بني البشر، بعدما زين الشيطان لآدم عليه السلام المعصية في الجنة "فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة".

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴾ [الأعراف:٢٦].

فالهدف من اللباس ستر العورة والتجمل "وريشاً". يقول ابن كثير: " يمتن الله تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش. فاللباس ستر العورات وهي السوآت. والرياش والريش ما يُتجمل به ظاهراً"[١].

[١] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٩٨/٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الأول : لباس الرجل:

غيرت قريش مناسك سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأجبرت الحجيج على الطواف بالبيت إما بثياب لم يُعص الله فيها، وإما عراة. فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قرآناً يأمرهم باللباس ومواراة العورات[١].

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾ [الأعراف:٣١].

يقول القرطبي: "وإن كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عرياناً، فإنه عام في كل مسجد للصلاة، لأن العبرة للعموم لا للسبب"[٢].

وفي تعبير الآية بالزينة دلالة على اتخاذ اللباس زينة، فلا يقف عند حد ستر العورة، بل يتعداه للتجمل به والاهتمام بشكله ووصفه. ويؤيده قوله تعالى : "وريشاً".

يقول السعدي: "ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها، ونظافة السترة من الأدناس والأنجاس"[٣].

وهذا مظهر واضح في اهتمام القرآن باللباس، وذلك لأن لباس المسلم رسالة لا بد لها أن تزودنا بمعلومات عن شخصيته وفكره وانتماءاته. وكلما تناسقت هذه الرسالة مع المحتوى الدعوي، حققت أهدافها بشكل أوضح.

وقد فصلت السنّة المطهرة الأوصاف العامة للباس، بل وأُفرد له باب خاص في كتب الحديث والفقه، احتوى بالإضافة لوصفه، ما يُنهى عنه من اللباس لمخالفته مضمون الرؤية القرآنية للمسلم. فمن ذلك أن لا يوحي للناظر الكبر والخيلاء، أو التشبه بأهل الكفر والفسوق[٤]، وذلك لأنها تؤدي رسالة تعكس انتماءات وأوصاف مغايرة لما أراده الله للشخصية الإسلامية.

---

[١] انظر الطبري، جامع البيان ١٨٩/٨، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم ٤٨٩/٢.

[٢] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٦٩/٤.

[٣] السعدي، تيسير الكريم الرحمن ١١٠/٢.

[٤] انظر النووي، المنهاج ٢٥٤-٣٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: لباس المرأة :

أما لباس المرأة، فقد فصل القرآن فيه أكثر، وذلك لأن آثاره في المجتمعات أكبر، فقد يرتقي بالمجتمع إلى ذروة الأخلاق والفضائل، وقد ينزل به إلى مهاوي الرذيلة.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٩].

"والإدناء: أن يشددن جلابيبهن على جباههن، وقال بعضهم: أن يغطين وجوههن ورؤوسهن فلا يبدين منهن إلا عيناً واحدة - وهو مروي عن ابن عباس"[١].

"والجلابيب: واحدها جلباب، وهي المُلاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار"[٢].

و"مِن": "للتبعيض، لأن المعهود التلفُّع ببعضها وإرخاء بعضها"[٣].

وقوله تعالى : "ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين" فقد ورد فيه "أن فساقاً من أهل المدينة كانوا يخرجون بالليل حين اختلاط الظلام إلى طرق المدينة، فيعرضون للنساء. وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطرق يقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا امرأة عليها جلباب، قالوا: هذه حرة، فكفوا عنها. وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا هذه أمة فوثبوا عليها"[٤].

ولا يُعدّ هذا سبباً لنزول الآية، بل أثراً من آثارها. فلا يفهم من النص أن علة الجلباب هي التمييز بين الحرة والأمة، بل العلة ستر المرأة لمواطن الفتنة فيها. أما التمييز المذكور فهو أثر نتج بعد نزول الآية، إذ الحجاب قد أدى رسالة إلى الفساق تفيد أن المتجلببة عفيفة النفس، محاربة للفاحشة، فامتنع الفساق عن مراودتها.

والحجاب ليس قيداً أو أسراً لحرية المرأة، بل هو رسالة عفة وطهارة.. رسالة تفيد المستقبل التزام صاحبة الرسالة بمنهج ديني يمنع الرذيلة.. وهو رسالة تمنع المستقبل من إنشاء أية عملية اتصال مقصدها غير شرعي.. وهو رسالة تحمي المجتمع من الفتن وسُعار الشهوات.. بل هو رسالة تضحية تقدمها المتجلببة بستر عورتها ومواطن الفتنة فيها، لتحمي أبناء مجتمعها من درك الفواحش والفسوق.

ولما أمر سبحانه المرأة بالحجاب عنواناً لحريتها، نهاها عما يخدش رسالة حجابها.

---

[١] الطبري، جامع البيان ٢٢/٥٥.

[٢] المراغي، تفسير المراغي ٨/٣٠.

[٣] أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٥/٢٣٩.

[٤] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/٤٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قال تعالى مخاطباً قدوة المجتمعات.. أمهات المؤمنين، لأن خطابهم خطاب لكل عفيفة: ا

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣].

والتبرج: من البروج وهو الظهور، "فهو إظهار الزينة وما تُستدعى به شهوة الرجل"[١].

وقد ورد عدة أقوال في تبرج الجاهلية الأولى، يذكرها ابن كثير[٢]:

١. كانت المرأة تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية الأولى.
٢. إذا خرجت المرأة من بيتها كانت لها مشية تكسر وتغنج.
٣. كانت المرأة تلقي خمارها على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها.

كل ذلك محتمل، لأن المراد منه الظهور بزينة قد تجلب الأنظار.

وتعد هذه المظاهر المنهي عنها رسائل -مقصودة أو غير مقصودة- تثير عند المستقبل لها بواعث الشهوة وبوادر الفاحشة. فجاء المنع منها درءاً للفتن، وقطعاً لعمليات اتصال تؤدي إلى الحرام.

كما نهى المرأة عن إبداء زينتها إلا لأصناف معدودة ممن لا تتحرك لهم شهوة عليها، إما لحرمتها تحريماً مؤبداً، وإما لانعدام الشهوة عندهم كالأطفال غير البالغين.

قال تعالى: ا وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣١].

ففي الآية زينة ظاهرة يتحرج سترها، "كالخاتم، والكحل، والخضاب، ونحوها، فإن في سترها حرجاً بيّناً"[٣]، وقيل: "بل هي الوجه والكفان"[٤].

---

[١] الزجاج ، معاني القرآن ٢٢٥/٤.

[٢] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤٦٤/٣.

[٣] أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٤٥٣/٤.

[٤] الطبري، جامع البيان ١٤٠/١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزينة باطنة يجب سترها: كالخلخال، والسوارين، والقرطين، والقلائد[١].

وحق للقرآن أن يفصّل كل هذا التفصيل في لباس المرأة وزينتها.. كما حق له أن يقنن كل هذه القوانين صوناً –لا قيداً– لعفتها. فقد خلق الله المرأة مستقطبة للرجل، مرغوبة عنده، لا لإفراغ شهوة وإشباع جنس، بل لتحقيق مقصد الحياة في إعمار هذا الكون على أساس من العلاقة الشريفة والاتصال النظيف. أما إذا ترك الأمر من غير ضابط، فالعصر يشهد ما يجني البشر من ويلات وثبور. فالمرأة تتفنن في إبداء مفاتنها.. تارة بلباس.. وتارة بحركة.. وثالثة بإيماءة .. ترسلها رسائل فتنة وبواعث شهوة .. تبحث فيها عن مستقبلين.. . ولما غاب استحضار الرقابة الإلهية، أضحى المجتمع كله مستقبلاً.. فلا البصر مغضوض.. ولا الحياء مصون.. فاستكمل الاتصال البطال حلقاته.. رسالة خانعة.. ومستقبل خاوٍ من الإيمان.. إيماءة وحركة وزينة ولباس.. حواس تتوق لاستقبال الرسائل بل وتبحث عنها.. اتصال يقابله اتصال.. إيماءة يقابلها إيماءة.. وحركة يقابها حركة.. حتى دب الفساد في المجتمعات.. وصارت الفاحشة شعاراً للعلاقات.

يقول سيد قطب –رحمه الله–: "إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار في دفعات اللحم والدم في كل حين. فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي. والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة، والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون!. وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة. فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة عن الكبح بعد الإثارة. وهي تكاد أن تكون عملية تعذيب"[٢].

<u>المبحث السابع : العبادة وأثرها في رسم سمات الشخصية الدعوية:</u>

مر معنا في إيماءة الاستماع كيف كانت رسالة الاستماع للنص القرآني موحية بهالة التقديس والتعظيم والاتصال المؤثر بين العبد وربه، تمثلت آثاره بالقشعريرة الموحية بانشراح الصدر وامتلاء القلب إيماناً حتى فاض على الجوارح، فأبت إلا المشاركة في عملية الاتصال هذه، وأبت الجبهة إلا أن تخر ساجدة لعظمة المخاطِب، وانهمرت العين تذرف دمعها رسالة خشوع وإجلال وتعظيم.

---

[١] انظر الزجاج، معاني القرآن ٣٩/٤، والطبري ، جامع البيان ١٤٠/١٨.

[٢] قطب ، في ظلال القرآن ٢٥١١/٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وها هو القرآن مرة أخرى يرسم حالة الاتصال بين العبد وربه، لتكون آثار هذا الاتصال رسالة مفعمة بالإخبات والخضوع، يرسلها العبد لكل مستقبل يراه.. لا رياء ولا سمعة.. بل حباً وإخلاصاً.

فأول عملية اتصال، هي مناجاة العبد ربه في الصلاة، وهي أقدس عملية اتصال، تتجلى من خلالها منابع الإيمان.

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون:١-٢].

والخشوع المعنيّ في الآية ذلك المظهر الذي يرتسم على جسم العبد، والذي يعبر عن معانٍ كثيرة، تُصاغ رسالة لكل مستقبل.

وقد ذكر بعض المفسرين شيئاً من مظاهر هذا الخشوع:

يقول القرطبي: "ألا يعبث بشيء من جسده في الصلاة"[١].

ويقول السعدي: "والخشوع في الصلاة هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضراً لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدباً بين يدي ربه"[٢].

ويقول أبو السعود: "متذللون لله ملزمون أبصارهم مساجدهم"[٣].

ويقول الجمل: "ومن الخشوع أن يستعمل الآداب، فيتوقى كف الثوب، والالتفات، والتثاؤب، والتغميض، وتغطية الفم، والتشبيك، وتقليب الحصى، وغير ذلك مما يكره في الصلاة"[٤].

والمظاهر المذكورة تعد رسائل موحية بعمق الاتصال بين العبد وبين ربه سبحانه. بل ولعل هذا العمق يتضح بمشهد آخر تظهر فيه المناجاة على أوجها، ذلك المشهد الذي يرسم العبد خالياً في جوف الليل بربه، لم يَكْفِهِ النهار وصالاً لكثرة ما يقطع اتصاله من أشغال لا بد للقيام بها، فقام يصلي في ظلمة دامسة، ينيرها بإيمان يستمد سراجه من نور ربه.

قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة:١٦].

"والمضاجع: الفرش ومواضع النوم"[٥]، "والتقييد بالمضاجع لمزيد مدحهم، لأن المضجع مفروش، والنوم فيه ألذ، فإذا هجروه في تلك الحالة كان أمدح لهم"[٦].

---

[١] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٩٧/٦.

[٢] السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٣١٦/٣.

[٣] أبو السعود، إرشاد العقل السليم ٤٠٢/٤. ومساجدهم: أي مواضع سجودهم.

[٤] الجمل، الفتوحات الإلهية ٢٢٤/٥.

[٥] الزمخشري، الكشاف ٤٩٦/٣.

[٦] الجمل، الفتوحات الإلهية ١٤١/٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول سيد قطب واصفاً بدائع المشهد [1]: "إنهم يقومون لصلاة الليل، صلاة العشاء الآخرة.. الوتر.. ويتهجدون بالصلاة ودعاء الله. ولكن التعبير القرآني يعبر هذا القيام بطريقة أخرى، فيرسم صورة المضاجع في الليل، تدعو الجُنوب إلى الرقاد والراحة والتذاذ المنام. ولكن هذه الجُنوب لا تستجيب، وإن كانت تبذل جهداً في مقاومة دعوة المضاجع المشتهاة لأن لها شغلاً عن المضاجع اللينة والرقاد اللذيذ".

والخشوع في الصلاة والتجافي عن المضاجع له ما له من أثر في النفس وعلى الأفراد وفي المجتمع، فهو رسالة توحي بعمق الصلة بين العبد وربه .. بل وبمداومة استحضاره ومراقبته في كل شأنه.. الأمر الذي يعطي المستقبل الأمن والأمان على نفسه وعرضه من قِبَل هذا المرسل، بل يعكس كل معاني الأخلاق الرفيعة التي حملتها رسالة القرآن لأن المرسل ينتمي إليها. فلا شك أنه محب للخير، مبغض للشر، معاون لإخوانه، مؤتمن على المال والعرض، أمين في تجارته، صادق في وعده، لا يغدر ولا يخون، ولا يظلم ولا يجور، وذلك لأنه موصول بربه.

[1] قطب، في ظلال ا لقرآن ٥/٢٨١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثامن: الهيئة العامة للشخصية الدعوية:

قد فصلنا في المباحث السابقة السمات العامة لشخصية المسلم، أعيد رسمها هنا لتكتمل أجزاء الصورة، فتحسن الإشارة، وتعمق الدلالة.

المسلم شخصية متواضعة..نزيهة عفيفة طاهرة.. بصره غاض عن المحارم.. غير متطلع لمتاع زائل.. ولا منازع أحداً شيئاً من خواصه.. سمعه عن اللغو معرض.. وللخير والقرآن مصغٍ منصت.. يستمع القول فيتبع أحسنه.. يترفع عن مخالطة السفهاء ويعرض تنزيهاً لنفسه... نبرته في صوته منخفضة.. ثقته بنفسه ومنهجه عالية.. لا يتأفف ولا يتضجر.. بل يطيع صاحب الفضل ويحترم.. مشيته رزينة.. خطوته هينة.. لا مبطئ يتماوت.. ولا مسرع يتخبط.. لباسه احتشام.. غير مسرف فيه ولا مقتر.. ولا متشبه بكفر ولا خنث.. إذا صلى فصلاته خشوع.. وإذا قام الليل فمناجاة وتضرع ودموع.. استحضاره لربه دائم.. وحفظه لأمانته لازم.. أمين مؤتمن.. تقي محترم.. نفسه عن الخسة معرضة.. وعلى الفضائل مقبلة.

والمرأة سواء بسواء.. زينتها حياؤها.. صانت مفاتنها عن الإغواء.. وأبت عفتها الانحناء.. قرّت في بيتها لتعد جيلاً.. فإذا خرجت فمشيتها رزينة.. لا تضرب بخلخال.. ولا تلفت نظر الرجال.. أبت أن تُرمى بسهام النظرة البهيمية.. فلم ترسل أي رسالة إغوائية.

هذه سمات المسلم.. رسمها القرآن صورة بهية .. داعياً كل فرد أن يتزيا بها.. زينة لإيمانه، وبهجة لإسلامه، وروحاً لدعوته.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة:

كان لهذه الدراسة عدة نتائج أجملها فيما يلي:

- الاتصال الإنساني ضرورة إنسانية واجتماعية، فحاجة الإنسان للاتصال لا تقل عن حاجته للأمن والغذاء والكساء، إذ الإنسان مدني بطبعه لا يستطيع العيش بمعزل عن المجتمع. كما وللاتصال دوره في نقل وتوارث المعلومات والسلوك من جيل إلى جيل.

- الاتصال الإنساني: هو التقاء العقول من خلال الاتفاق على رموز مشتركة لها معان محددة مفهومة لدى المشتركين في عملية الاتصال. فالاتصال هو الفهم (Understanding).

- يقسم الاتصال الإنساني إلى اتصال لفظي -منطوق ومكتوب-، وغير لفظي -لغة الجسم والإشارات والأشياء-، وكلاهما يهدف إلى نقل وتبادل المعلومات بين مرسل ومستقبل من أجل تغيير معلومات واتجاهات وسلوك الناس.

- تختلف العلاقة بين الاتصال اللفظي وغير اللفظي باختلاف الموقف الاتصالي:

٢. فقد تحل لغة الجسم محل لغة اللفظ عند تعذر الأخيرة، كإشارة مريم إلى ابنها عليهما السلام عند مواجهة قومها، قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ [مريم:٢٩].

٣. وقد تكون لغة الجسم مؤكدة للغة اللفظ، كقوله تعالى مصوراً حال صاحب الجنتين بعد خرابهما: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف:٤٢].

٣. وأحياناً تناقض لغة الجسم لغة اللفظ.

٤. وقد تستخدم لغة الجسم بدل لغة اللفظ لأنها أصدق عاطفة وأبلغ معنى -في بعض الأحيان-، كتصوير مشاهد العذاب والنعيم يوم القيامة.

- اهتم علماء الاختصاص الغربيون – في المجالات الاجتماعية، الثقافية، السياسية، الاقتصادية، والتعليمية، .. – ، بلغة الجسم لما لها من دور فعال يحقق آثاره الإيجابية في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مناهج التنمية والتطوير. الأمر الذي يدعونا للنهوض بهذا العلم، والإفادة منه في مجالات الحياة المختلفة.

- تعد بعض تعابير لغة الجسم عالمية كالضحك والعبوس، بينما تختلف دلالة بعض التعابير تبعاً لاختلاف الثقافات، كإشارات التحية. وقد استخدم القرآن تعابير لغة الجسم العالمية لتتناسب مع عالمية رسالته.

- تستغل لغة الجسم في الغزو الفكري للعالم الإسلامي، الهادف لبث الفساد الأخلاقي، وجعله عنوان حضارة من خلال لغة الإغراء واللباس الهادفة إلى تمييع الشخصية الإسلامية. ففهمنا للغة الجسم ودورها الحيوي في المجتمعات، ووضع الخطط المناسبة لمواجهة الآثار السلبية لها، كل ذلك له دوره في المحافظة على ثوابت العقيدة والأخلاق الإسلامية.

- قد تكون تعابير لغة الجسم إرادية كغض البصر، وقد تكون غير إرادية تتحكم فيها عوامل فسيولوجية كردة فعل لحدث ما، كشخوص البصر عند الخوف، أو عوامل خارجية كالضرب والتعذيب. كما يمكن أن تكون تعابير لغة الجسم بوعي أو بغير وعي كتخبط آكل الربا يوم القيامة كالممسوس.

- قد تستخدم لغة الجسم في الخداع، يقال: "فلان دموعه دموع التماسيح" لأنه يخادع في إظهار مشاعر الحزن. وقد خادع إخوة يوسف في بكائهم عندما جاءوا أباهم عشاء يبكون، مستغلين عتمة الليل لإخفاء خداعهم[١].

- اهتم القرآن الكريم بالاتصال الإنساني لدوره الفعال في كسب العقول والقلوب، وتعد لغة الجسم من أبرز أشكاله التي استخدمها لمعالجة قضايا عديدة:

١. ففي مجال العقيدة: أسهمت لغة الجسم في تقرير بعض مبادئ العقيدة: كالتوحيد، والرسالات. فناقشت دعوى ألوهية عيسى عليه السلام وأمه من جهة، وأثبتت ضرورة

[١] لا يعد هذا الخداع تناقضاً بين لغة الجسم ولغة اللفظ ، بل هما متفقتان في المشهد لرسم إيماءة الخداع. فقد اتفقت لغة جسم إخوة يوسف مع لغة لفظهم وتشاركتا في محاولة خداع أبيهم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كون الرسول بشراً من جهة ثانية، لما للغة الجسم الصادرة عنه من أثر في تبليغ الرسالة وتأسيس وتوضيح مفهوم القدوة.

٢. أدت لغة الجسم وظيفتها الكبرى في رسم مشاهد الغيب والحياة الآخرة من حشر وحساب ونعيم وعقاب. وصورت المشاعر الإنسانية كالخوف، الفزع، الحسرة، السرور، والنعيم، في أبلغ وصف، وأدق رسم، من خلال الإيماءات والحركات والهيئات الصادرة عن المنتظرين للحساب تارة، والمتنعمين والمعذبين أخرى.

٣. ظاهرة التصوير الفني في القصة القرآنية، ظاهرة بديعة تصور أحداث القصة في مشاهد، كأنها منظورة الشخوص، محسوسة الواقع. تجلت لغة الجسم من خلال هذه الظاهرة فنطقت بمعان لا يمكن تجسيدها في أبلغ وصف إلا من خلال لغة الجسم، لأنها أصدق عاطفة وأعمق تأثيراً من أي اللفظ.

٤. تؤدي لغة الجسم دوراً فعالاً في إظهار البلاغة القرآنية ، من تشبيهات واستعارات وكنايات وأمثال، كانت الإيماءة والحركة والهيئة مرتسمة في تلك الصور البيانية، لتعكس معان بليغة استخدمها القرآن لمعالجة موضوعات عديدة: كالأخلاق، والعبادات.

٥. أدت لغة الجسم رسالتها في كشف الجريمة ومكافحتها. ففي قصة يوسف عليه السلام، اكتشفت دلائل الجريمة من خلال القميص المقدود. وفي تطبيق الحدود الشرعية، كالسرقة والحرابة، كان لذلك الأثر في زجر النفوس الضعيفة، وبث الأمن والطمأنينة.

٦. تعبر لغة الجسم عن معان وصفات إيحابية وسلبية، وقد اهتم القرآن بعرض مشاهد تصور لغة الجسم بقسميها. فقد رسمت لغة الجسم صورة الشخصية الإسلامية -التي ترسخ مفهوم القدوة- من خلال إظهار الإيماءات والحركات والهيئات التي يجب أن يتحلى بها المسلم، لما لهذه الصورة من أثر كبير في عكس النظرية الأخلاقية القرآنية.

كما صور القرآن مشاهد تعكس السمات السلبية للغة الجسم -كاستراق النظر وخضوع القول-، ونهى عن سلوكها لما تسببه من آثار سلبية على الأفراد والمجتمعات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وختاماً، فالهدف من هذه الدراسة تسليط الضوء على فن وعلم لغة الجسم، الذي يستخدمه الإنسان في سائر مجالات الحياة. آملاً أن يكون يقوم عدد من الباحثين بتأصيل النظرية الإعلامية القرآنية -مستفيداً من لغة الجسم- وبلورتها في خطط عملية يمكن تطبيقها، لتؤدي دورها في نشر معالم ديننا، والدفاع عن عقيدتنا في عصر العولمة، والنظريات الإعلامية الهدامة التي تعتمد على لغة الجسم والصورة من وجهها السلبي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المراجع :

الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان، ط١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسين، جمهرة اللغة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر-بورسعيد، لا يوجد رقم طبعة ولا سنة نشر.

أبو أصبع، صالح خليل، الاتصال الجماهيري، دار الشروق، عمان -الأردن ، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

أبو أصبع، صالح خليل، العلاقات العامة والاتصال الإنساني، دار الشروق، عمان-الأردن، ط١، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م.

الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض-السعودية، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٨٧م.

الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع، المكتب الإسلامي، عمان-الأردن، ط٣،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

البروسوي، إسماعيل حقي، تفسير روح البيان، تحقيق: أحمد عبيدو عناية، دار أحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١ ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

بير آلن ، لغة الجسد، ترجمة سمير شيخالي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢ ،١٩٩٦م.

بيرجيرو، علم الإشارة. ترجمة د.منذر عياشي طلاس للدراسات والترجمة دمشق ، ١٩٩٢م.

البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨.

الثعالبي، عبد الرحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق:محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا-لبنان، لا يوجد تاريخ طبعة.

الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، مكتبة لبنان، لبنان- بيروت، ط١، ١٩٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجمل، سليمان بن عمر العجيلي، الفتوحات الإلـــهية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١٤١٦،١هـــ–١٩٩٦م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتـــب العلميـــة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢١هـــ– ٢٠٠١م.

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، تذكرة الأريب في تفسير الغريب، تحقيق: علي البواب، مكتبة المعارف، الرياض–السعودية، ط١، ١٤٠٧هـــ–١٩٨٦م.

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت– لبنان، ط٣، ١٤٠٤هـــ - ١٩٨٤م.

الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: اميل بـــديع يعقـــوب،دار الكتـــب العلميـــة، بيروت–لبنان، ط١ –١٩٩٩م.

ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري، دار السلام، الرياض–الـــسعودية، ط١، ١٤١٨هـــــ– ١٩٩٧م.

حسن، محمد عبد الغني، مهارات الاتصال فن الاستماع والحديث، مركز تطوير الأداء والتنمية، مصر الجديدة، ط٢، ١٩٩٦م.

الحسني، سليم، مختصر الميزان في تفسير القـــرآن، دار الإســـلام، بيـــروت–لبنـــان، ط١، ١٤١٧هـــ–١٩٩٦م.

حقي، إحسان ،علم الفراسة وأسرار الخلقة وإبداعها، دار النفائس بيروت ،ط٢ ١٩٨٣م .

الحنبلي، أحمد، مرويات الإمام أحمد في التفسير، ت: أحمد البرزة، مكتبة المؤيد، الـــسعودية، الرياض، ط١، ١٤١٤هـــ–١٩٩٤م.

الحنبلي، عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجـــود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١ ١٤١٩هـــ - ١٩٩٨م.

حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٥هـــ– ١٩٨٥م.

أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤١٢هـــ - ١٩٩٢م.

خاروف ، محمد فهد، الميسر في القراءات الأربعة عشر، مراجعة: محمد كريم راجـــح، دار الكتب ابن كثير، دمشق– حلواني، ط١ ١٤١٦هـــ - ١٩٩٥م.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيـــق:عبـــد الـــسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٥هـــ–١٩٩٥م.

خريسات، صالح، سيكولوجية الضحك، دار آفاق للنـــشر والتوزيـــع، عمـــان–الأردن، ط١، ١٤١٨هـــ–١٩٩٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الدرة، محمد علي طه، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه، منشورات دار الحكمة، دمشق ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط٢ ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، لا يوجد رقم طبعة.

رضا، محمد رشيد، تفسير المنان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٠م.

زادة، طاش كبرى، مفتاح السعادة ومصباح الزيادة، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط١،١٣٥٦هـ.

زادة ، محيي الدين، حاشية محيي الدين زادة على البيضاوي، ت: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١ ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

الزجاج، أبو اسحق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ت: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

الزحيلي، وهبة ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، ط١ ،١٤١١هـ - ١٩٩١م.

الزغول، عماد عبد الرحيم، مبادئ علم النفس التربوي، دار الكتاب الجامعي، العين- الإمارات،ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

الزمخشري، جار الله عمر، الكشاف، ضبط: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

الزهري، محمد بن احمد، معجم تهذيب اللغة، تحقيق رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط١ -٢٠٠١م.

زيدان، جرجي،علم الفراسة الحديث، دار الجيل، بيروت ط١ ١٩٨٢م

الزين، سميح، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الشركة العالمية للكتاب، ط٣، ١٩٩٤م - ١٤١٤هـ.

ابن ساعد، محمد بن إبراهيم، إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، دار الفن، القاهرة-مصر، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: محمد زهري النجار، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م.

السلمي، محمد بن الحسين، حقائق التفسير، ت: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

ابن سيدة، علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

شريف، محمد إبراهيم، اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.

الشهاب، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء - المنصورة، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الشيباني، محمد بن الحسن، نهج البيان عن كشف معاني القرآن، تحقيق: حسين دركاهي، دار الفكر، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢١هـ٢٠٠١م.

الشيرازي، نصر بن علي، الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

الصاحب، اسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة،تحقيق: محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ–١٩٩٤م.

الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دارالكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ضبط: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن عاشور، محمد الطاهر،التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٧٣م.

ابن عبد السلام، عز الدين بن عبد العزيز، تفسير القرآن، تحقيق: عبد الله الوهيبي، دار ابن حزم، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

عبد الخالق، أحمد، محاضرات في علم النفس الفسيولوجي، دار المعرفة الجامعية، بيروت –لبنان، ١٩٨٤م.

عبيد ، عاطف عدلي العبد، مدخل الى الاتصال والرأي العام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٧ –١٩٩٧م .

أبو عرقوب، إبراهيم الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان–الأردن، ط١، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد الله الأنصاري و عبد القادر السيد إبراهيم و محمد الشافعي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر - الدوحة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

عكاز، فكري أحمد، فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون، شركة عكاز للنشر والتوزيع جدة - ط١ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

العلي، إبراهيم، صحيح السيرة النبوية، دار النفائس، عمان–الأردن، ط٢، ١٤١٦هـ– ١٩٩٦م.

علي، سامي عبد القوي، علم النفس الفسيولوجي، مكتبة دار النهضة المصرية، مصر –القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.

عليان، زكي مصطفى، وسائل الاتصال وتكنولوجيا التعليم، دار صفاء للنشر، عمان ط١، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

غباري، محمد سلامة، الاتصال ووسائله بين النظرية والتطبيق،المكتب الجامعي الحديث، الاسكندريه ط١ ١٩٩١م.

الغرناطي، محمد بن أحمد بن جزي، تحقيق: عبد الله الخالدة، دار الأرقم، بيروت - لبنان. لا يوجد سنة نشر.

غريب، غريب عبد السميع، الاتصال والعلاقات العامة في المجتمع المعاصر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية–مصر، ١٩٩٦م.

الفارسي، الحسن بن أحمد، الحجة للقراء السبعة، ت: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١ ١٤٢١– ٢٠٠١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

الفيتوري، محمد عطية، فقه العقوبة الحدية في التشريع الجنائي الإسلامي، منشورات جامعة قاريونس - ليبيا ط١، ١٩٩٨م.

الفيل، توفيق، فنون التصوير البياني، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

فيلمون، الفراسة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر-القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت - لبنان، ط١ ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، المكتبة العلمية، ط٣، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

القذافي، رمضان محمد، علم النفس الفسيولوجي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية-مصر، ط١، ١٩٩٩م.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عرفات العشا، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

قطب ، سيد ، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر- ط٢٦، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

القنوجي، صديق حسن خان، فتح البيان في مقاصد القرآن، تحقيق: عبد الله الأنصاري، دار إحياء التراث الإسلامي، قطر، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

القونوي، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، تحقيق:عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، ط١ ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، ط٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

مراد، يوسف، الفراسة عند العرب وكتاب "الفراسة " لفجر الدين الرازي، ترجمة: مراد وهبة الهيئة العامة المصرية للكتاب ،مصر ١٩٨٢

المسعودي، دلالة الألوان في آيات القرآن، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

مسلم، أبو الحسين بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

ملحم، سامي محمد، سيكولوجية التعلم والتعليم، دار المسيرة للنشر ، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

منصور، هالة، الاتصال الفعال، مفاهيمه وأساليبه ومهاراته، المكتبة الجامعة الاسكندرية، القاهرة- مصر، ط١، ١٩٩٨م.

ابن منظور، جمال الدين بن محمد، لسان العرب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت -لبنان، ط١-١٩٩٣م.

مهدلي، محمد،المدخل في تكنولوجيا الاتصال الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الازاريطة- الاسكندرية، ١٩٩٧م.

ميخائيل، نظرية الاتصال والبحوث التطبيقية، ترجمة عبد الله بن أهنية، مركز البحوث والدراسات الادارية ١٩٩٩م.

نجيب، مصطفى أحمد، فقه العقوبات، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، ط١/ ١٩٩٨م.

النسفي، عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق والتأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨.

نصر الله، عمر عبد الرحيم، مبادئ الاتصال التربوي والإنساني، دار وائل للنشر، عمان ط١ ٢٠٠١م.

نعمة الله ، هيكل، الفراسة وقراءة الأفكار، مطبعة جروسن برس طرابلس- لبنان، ط١ ١٩٩٧م.

الهاشمي، السيد أحمد، جواهر البلاغة، تحقيق: محمد التونتجي، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، دار الخير، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

ياسين، حكمت بشير، التفسير الصحيح، دار المآثر، المدينة المنورة-السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

Abstract

Body Language in Holy Qura'an

By
Khairi Z. Al-Junaidi

Advisor
Ph.D Ahmad Shukri

Co-Advisor
Ibrahim Abu Arquob

This research has discussed body language as a mean of expression through the mimes and the gestures of the body. Holy Qura'an has shown interest in this type of language and employed it to serve number of issues like:

- Building up artistic images of the Qura'anic stories.
- Building up the judgment day images.
- Giving up the Muslim positive characteristics.
- The body language role and its impact in practicing the Shariah laws.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit